



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العلي والبحث العلمي
جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

مطبوعة بيداغوجية في مقياس تاريخ الجزائر موجهة لطلبة
السنة الأولى جذع مشترك

إعداد الأستاذة: عبيد طوس

السنة الجامعية 2025/2024

الرصيد: 2

المعامل: 1

أهداف المقياس:

- 1- دراسة تاريخ المجتمع الجزائري قبيل وابعان العهد العثماني بنظرة سوسيوثقافية.
- 2- التعرف على تاريخ الجزائر العثمانية.
- 3- التعرف على أهم الفاعلين خلال هذه الحقبة التاريخية للجزائر (المثقفين ورجال الدين).
- 4- تمكين الطالب من استخدام مفهوم الثقافة والتعليم في الموضوع الصحيح.

المكتسبات القبلية

لا بد أن تكون هناك فكرة مسبقة لدى الطلبة حول المواضيع التي تهتم بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني وذلك عند دراستهم لهذا المقياس، فقبل بداية دراسة هذا المقياس على الطالب أن يكون ملما ببعض المواضيع المتعلقة بالدرس والتي يمكن تناولها في المراحل الدراسية أين يكون قادرا على:

- تحديد المفاهيم العامة لهذا الموضوع
- فهم الطالب ومدى درايته بأهم المحطات التاريخية التي عرفها المجتمع الجزائري
- استدراك الطالب مدى إسهامات الجزائريين في انتشار الحركة الثقافية
- الوقوف عند المحطات التاريخية للجزائر حتى يتمكن الطالب من استخلاص العبر
- تمتع الطالب بمهارات لغوية ومعرفية حتى يستطيع فهم وقراءة الأحداث التاريخية

محتوى المقياس:

يشتمل هذا المقياس على أربعة محاور رئيسية تتمثل في:

أولاً: الأوضاع الثقافية للمغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني

ثانياً: بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني

ثالثاً: التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني

رابعاً: العلماء ورجال الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني

الصفحة	قائمة المحتويات
أ	مقدمة
	أولاً: الأوضاع الثقافية للمغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني
	تمهيد
	1- الحياة العلمية والثقافية للمجتمع الجزائري في العهد الزياني
	ثانياً: بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني

	1 - انتشار حركة التأليف
	1.1 - مختلف طبقات المجتمع الجزائري
	2.1- الوضع الثقافي في الجزائر
	3.1- مسألة التأليف بالجزائر
	2- الثنائية المذهبية
	1.2- المذهب المالكي
	2.2- المذهب الحنفي
	3.2- بعض مظاهر التعايش بين المذاهب
	3- العلوم السائدة في الجزائر
	1.3- العلوم العقلية
	2.3- العلوم النقلية
	4- التصوف
	1.4- نبذة عن التصوف
	2.4- أهم الطرق الصوفية في الجزائر
	3.4- رجال التصوف والمرابطين
	ثالثا: التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني
	تمهيد
	1- رجال التعليم
	2- طرق التعليم
	3- المناهج التعليمية
	4- مستوى وطبيعة المتعلمين
	5- المراكز التعليمية
	رابعا: العلماء ورجال الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني

	تمهيد
	1- المستوى العلمي للعلماء ورجال الثقافة في الجزائر
	2- علاقة العلماء ببعضهم البعض
	3- بعض وظائف العلماء ورجال الثقافة في الجزائر
	4- علاقة العلماء ورجال الثقافة بالسلطة العثمانية في الجزائر
	5- الدور الاجتماعي لعلماء الجزائر (موقفهم من بعض القضايا الاجتماعية)
	6- هجرة العلماء وآثارها المختلفة على الحياة الثقافية في الجزائر
	خاتمة
	قائمة المصادر والمراجع
	الملاحق

مقدمة

مقدمة:

إن تاريخ الجزائر حافل بالأحداث زاخر بالمواقف التي يجب على كل فرد منا أن يفخر بها، مليء بالمحطات التي تعكس الصورة الحقيقية للجزائر الزيانية والعثمانية، ونعتبر مجموعة المحاضرات التي ضمت هذه المطبوعة مفتاحا ودليلا للطالب الذي يريد التعمق في فهم هذه المراحل ويبحث وراء نبش ماضي أجداده، بدءا من قيام الدولة الزيانية سنة 633هـ عقب انهيار الدولة الموحدية وانقسام هذه الأخيرة إلى أربع دويلات ويتعلق الأمر بدولة بنو الأحمر التي كانت تسمى أيضا الدولة النصرية في غرناطة، ودولة بنو مرين في المغرب الأقصى، وبنو حفص في شرق الجزائر وتونس (المغرب الأدنى)، وبنو عبد الواد في المغرب الأوسط (الزيانية)، هذه الأخيرة التي تأسست على يد أبو يحيى أبو زيان وظلت صامدة لمدة تزيد عن ثلاثة قرون، لتصبح مدينة تلمسان عاصمة للثقافة والعلم، ويعتبر العصر الزياني عموما من أزهى العصور التي عايشتها الجزائر، حيث ازدهرت فيه الثقافة والتعليم ووصلت البلاد ذروة مجدها الحضاري والفكري والعلمي، وكانت مدينة تلمسان قبلة للعلماء والمتقنين، إلا أن الحروب والنزاعات الحدودية الدائرة بين الدولة الزيانية وجيرانها من الحفصيين والمرينيين ساهمت في سقوط الدولة، حيث شكلت التحالفات الصليبية بقيادة الاسبان مع المغرب الأقصى السبب الأول، فبالإضافة إلى المواجهة قام هذا التحالف بإثارة الفتن داخل الجزائر واشعال فتيل حروب داخلية من أجل القضاء على مملكة بني زيان.

أما عن دخول العثمانيين إلى الجزائر والذي كان باعتقاد بعض الجهال على أنه استعمار للبلاد، فالحقيقة غير ذلك، حيث أنه وبعد احتلال الاسبان لبعض المدن الجزائرية وفرض الضرائب وتقييد حريتهم، استنجد الجزائريون بالإخوة "بربروس" واستقبلوهم بحفاوة، ولعل الحاح سكان مدينة الجزائر على خير الدين بالبقاء أثرت في نفسيته، لذلك قرر البقاء بها وفكر في قوة يحتمي بها تمثلت في الدولة العثمانية، إذ كان من الطبيعي جدا لمدينة إسلامية مهددة من قبل المسيحيين أن تضع نفسها تحت حماية الخلافة الإسلامية، وقبل أهالي الجزائر باقتراح خير الدين المتمثل في إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية، فكتبوا كتابا للسلطان العثماني يخبرونه بصرف طاعتهم إليه، كما كتب هو الآخر كتابا للسلطان العثماني يتضمن نفس العرض، وبذلك دخلت الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية عام 1518م .

وكان قدوم العثمانيين للجزائر إيجابيا إذ أنهم تصدوا للغارات الصليبية وعملوا على تأسيس كيان سياسي وضح ملامح الدولة الجزائرية، إلا أن الحكم العثماني في الجزائر لم يخل من السلبيات خاصة في السنوات الأخيرة من عمر الدولة العثمانية.

وقد حاولنا من خلال هذه المطبوعة أن نبسط لطلابنا مجرى هذا الحيز التاريخي للجزائر ونسوق إليهم أهم المحطات التاريخية التي عرفت الجزائر منذ أواخر العهد الزياني إلى قبيل الاحتلال الفرنسي، وهذا بالتركيز على الحياة الاجتماعية الثقافية، على غرار التطرق إلى أهم العلوم التي كانت سائدة في الجزائر والتذكير بالعلماء الذين كانوا شعلة ينار بها الوطن، خاصة وأن الأجيال المتأخرة داخل وخارج البلاد تظن بأن الجزائريين أميين لا يعرفون القراءة والكتابة من قبل الاحتلال الفرنسي، وأن الشعب الجزائري لا يفقه في الدين وتعاليمه ولا اللغة العربية، وبذلك يتسنى لكل واحد الوقوف على أبعاد ومحددات الهوية الوطنية، وكذا ربط الأحداث ووقائع التاريخ القديم بما يحدث حالياً.

وفي الأخير نتمنى أن تساهم هذه المطبوعة العلمية في إيصال وتلخيص واقع الجزائر والجزائريين في أواخر العهد الزياني إلى قبيل الاحتلال الفرنسي.

أولاً

الأوضاع الثقافية للمغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني

أولاً: الأوضاع الثقافية للمغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني

تمهيد:

كان المغرب العربي حتى نهاية القرن الثاني عشر تحت نفوذ ثلاث دول رئيسية هي المرينية التي حكمت المغرب الأقصى، الزيانية التي حكمت ما يعرف بالمغرب الأوسط حيث كانت حدود الدولة من بجاية إلى بسكرة شرقاً ومن وهران إلى الصحراء غرباً وعاصمتها تلمسان، أما الدولة الحفصية فتتمثل في المغرب الأدنى وتضم تونس وبعض المدن الشرقية للجزائر الحالية، ولم يقتصر القتال بين الدول الثلاثة بل أخذ طابعاً دولياً، فقد اغتتم الأوربيون فرصة هذا الخلاف بين المسلمين على غرار البرتغال وإسبانيا ليتمكنوا من احتلال بعض المدن الإسلامية مثل غنابة، دلس، وهران... إلخ. (أبو القاسم سعد الله، 1998، صص 40-41)

سميت السلالة الزيانية نسبة إلى "زيان بن ثابت بن محمد" من بني طاعة الله من بني عبد الواد الذي بنى هذه السلالة بقوة، وبعد انهيار الدولة الموحدية نصب "أبو يحيى يغمراسن بن زيان" نفسه أميراً على تلمسان ودام ذلك لأكثر من خمسين سنة (685-633هـ/1236-1282م)، وعمل على وضع أسس هذه الإمارة التي تمتد من البحر إلى الصحراء، ومن بجاية شرقاً إلى وادي ملوية غرباً، واستمرت الدولة لأكثر من ثلاثة قرون (962-633هـ/1236-1554م)، وبمساعدة أميرهم "إغمراسين بن زيان" مؤسس مملكة زيان، حطت هذه القبائل في تلمسان، وفرض بنو عبد الواد أنفسهم على سكان هذه المنطقة وجعلوا من تلمسان مدينتهم، وقد تم ذلك بموافقة الموحدين، لأن بنو عبد الواد كرسوا أنفسهم لخدمة الموحدين في تلمسان، وفي المقابل عين "الخليفة الموحي المأمون" "إغمراسين بن زيان" والياً على تلمسان ومنطقة زناتة (624 هـ - 1227 م).

استفاد "إغمراسن" من انهيار دولة الموحدين واستقل في المنطقة التي يسيطر عليها حالياً، وأسس دولة تتوسطها دولتي بني حفص في المغرب الأسفل (تونس) وبني مرين في المغرب البعيد (مراكش)، وكانت هذه المملكة موضوع أهداف البلدين في القواعد والممارسات، حيث اعتقد الحفصيون حكام تونس أنهم أحفاد الموحدين الحقيقيين ولهم الحق في الحكم في تلمسان، وفي سنة 646هـ/1248م، نشروا جيشاً وأجبروا بني زيان على قبول سلطتهم على المدينة وحكمها باسمهم وتحت وصايتهم. (رزويو زينب، 2016، صص 04-15)

لكن طموح بني مرين لم يسلم من سلالة بني زيان التي تعرضت لهجمات عديدة لكنها دافعت عن نفسها بلا كلل، واشتبك الجيش المريني مرتين مع جيوش الزيانيين في سهل أيلس مما أوقف مسيرتهم، ويعود الفضل الكبير لهذه الدولة وثباتها إلى مؤسسها "إغمراسن"، الذي ساهم بشكل كبير في استقرار السلالة الزيانية خلال فترة حكمه، وواصل ابنه عثمان المسيرة مما دفع قبائل المغرب الأوسط إلى الاعتراف بسلطته، والتحالف معه سنة 750هـ، وكرر أبو عنان بن أبي الحسن المريني (759هـ) نفس الأفعال واستولى على البلاد، ومع ذلك انقسم شعبه حول طاعته

وكان آخر السلاطين المرينيين الذين دخلوا هو أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن الذي واصل العملية سنة (760هـ/1359م) وعاد إلى فاس حيث سيطر على المغرب الأوسط، وكان أمراء تلمسان تابعين للمرينيين في فاس.

وقد حددت حدود الدولة الزيانية الغربية عند تاوريرت، ثم نحو وجدة جنوبا والفيق وتيفرارين شمالا، وغربا حتى ندرومة جنوبا، أقصى حدودها الشرقية يصل إلى تقلاعت في بجاية، ثم يتجه جنوبا إلى جبال جرجرة إلى البويرة والمحمدية (المسيلة) إلى غاية مزاب وتيكورارين.

وقد تميزت الدولة الزيانية بنجاحها الاقتصادي في عهد إغمراسين، ونظرا لطبيعة أرضها كانت الزراعة إحدى أهم سمات اقتصادها، كما أن موقعها الجغرافي شجع التجارة بقوة، فتركيبة مجتمعها الذي تشابك مع الهجرات الأندلسية كانت سببا ودفعت صناعتها إلى أن تصبح معروفة بين المناطق الأخرى، وعلى الرغم من فترات الاضطرابات ساهمت هذه الخصائص في التنمية الاقتصادية للزيانيين.

وكانت الزراعة أحد العناصر الأساسية لثروة هذه السلالة فاحتلت زراعة القمح المرتبة الأولى بين المحاصيل، يليه منتوج الزيتون، وتوسعت المحاصيل الزراعية فيما بعد لتشمل القطن والكتان وقصب السكر وغيرها، وكذا العديد من الفواكه والبقوليات، بالإضافة كون المنطقة محطة عبور بين الشرق والغرب والشمال والجنوب فقد ازدهرت التجارة، فكانت أكثر وأهم البضائع والسلع متجهة إلى أوروبا عبر الموانئ المقابلة لنظيراتها الأندلسية.

وتمثل الأسواق مركز للنشاط التجاري والصناعي بل وعنوان للحياة الاجتماعية، فالأسواق هي مرآة عاكسة لحياة المدينة الاقتصادية والاجتماعية، فمنذ إنشاء المدن رتبت الأسواق ودعمت ببعض المنشآت فأصبح لها تنظيمات وقواعد معينة خاصة بعدما تولت الدولة الاشراف عنها. (فواد طوهاره، 2014، ص 86)

وبغض النظر عن الصراعات والأحداث التي حدثت داخل الدولة الزيانية، إلا أن ذلك لم يمنع من صعودها كدولة قوية ومزدهرة، بفضلها أصبحت تلمسان أحد المراكز الرئيسية في العديد من التخصصات.

1- الحياة العلمية والثقافية للمجتمع الجزائري في العهد الزياني:

لا شك أن الوضع السياسي المتوتر، وفي أحلك الفترات السياسية التي مرت بها تلمسان بسبب الصراعات الداخلية والحملات المرينية والحفصية (تونس والمغرب الأقصى) على عاصمة الدولة

الزيانية، لم يكن له تأثير يذكر على الحياة الثقافية للمدينة، ويعود كل ذلك إلى مجموعة متنوعة من الخصائص النابعة من بيئة تلمسان نفسها، بما في ذلك واقعها المادي والإنساني، فضلاً عن إطارها الاجتماعي والفكري.

إن الثورة الثقافية والعلمية التي تميزت بها تلمسان تعود إلى جوانب إيجابية متعددة، ومن هنا جاءت النزعة العلمية والفكرية التي ميزت بعض سلاطين وأمراء بني زيان، وأبرزهم ملك البلاد الذي كان دائماً يشجع ويدعم المثقفين، وهذا ما تؤكد الوثائق والترجمات التاريخية، بالإضافة إلى المشاركة العامة في الاحتفال بهم وتبجيلهم، سواء كان هؤلاء الأكاديميون من أبناء البلاد أو من عواصم شمال إفريقيا أو دول إسلامية أخرى، كل هذه العناصر وردت في كتاب "محمد تنسي" "نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان".

علاوة على ذلك، كان لزيارة المثقفين الأندلسيين إلى تلمسان، وما جلبوه معهم من معلومات وأفكار، تأثير كبير على الحياة الثقافية للمدينة، كذلك ساهم سلاطين وأمراء بني زيان بشكل كبير في إحياء الحركة الثقافية، إذ كان منهم فقهاء وشعراء وشخصيات أدبية وفنية مثل "السلطان أبي تاشفين الأول" الذي كان محباً للفن والعمران، وشجع هؤلاء الأمراء والسلاطين العلماء على بذل المزيد من الجهد لتحرير الأفكار من الركود، وتنشيط الحركة الفكرية والثقافية في العاصمة الزيانية، وكانوا يشرفون بأنفسهم على المهرجانات الشعبية التي ينظمها معظم السلاطين كل عام عشية المولد النبوي، خاصة في عهد "أبي حمو" الذي نظم قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا في عهد "أبي تشافين". (محمد التنسي، 2011، ص ص 162-164)

وقد تصاعدت حالتهم إلى الإشراف المباشر في المجالس والكراسي حيث كان يتلقى محاضرات علمية في الإيمان والتاريخ والعلوم العقلية الأخرى، وكان الأمر كذلك طوال عصر أجدادهم الموحدين، الذي اتسم بالاجتهاد وحرية الفكر لا سيما في الفقه، وقد تأثرت تلمسان بهذه النهضة الفكرية كما تأثرت بمختلف التيارات التي كانت سائدة في ذلك الوقت، ومن المرجح أن هذا التراث الفكري والثقافي ساهم في تنشيط الحركة العلمية، وهكذا تمكن العلماء من المشاركة في الخطب والمناظرات والبحث المتعمق والاهتمام بمختلف الأعمال الفقهية وغيرها من المواضيع، ولذلك أصبحت مدينة تلمسان قبلة لطلبة العلم القادمين من كل حذب وصوب، حيث قال "ابن البيان الخطيب" عن ذلك: "وبفضل الله تعالى خصصت وقتاً للقراءة".

وكان السلطان "إغمراسن" أول من عزز الحركة الثقافية والتعليمية في تلمسان، حيث كان حريصاً على استقطاب المثقفين إلى عاصمته، وشجعهم على التدريس والكتابة بعد أن ارتقى في مراتبهم، كما أنفق المال وقدم لهم الهدايا، وهكذا أقام في عاصمة تلمسان في عهده العلامة الشيخ

"أبو إسحاق إبراهيم بن خلف التنسي" خير علماء عصره الذي اشتهر بدراسته الحديث والفقه والأدب، كذلك "ابن القنفذ" الذي برز في علوم الحساب والفلك، وكذا "الشيخ الثعالبي" الذي عرف بالزهد وعلوم الدين.

وقد وصف "ابن مرزوق" اهتمام "أبي حسن" بكتب الحديث والسيرة وقربه من الخبراء ومجالستهم، ومشاركته في المجالس العلمية بما يلي: "كان أبو حسن من أطف الناس وأعلمهم وكان من طلبة العلم، فجمع والتقى بأغلب العلماء، وحرص على استقبالهم في تلمسان".

ومن أشهر العلماء الذين علت سمعتهم وشاع صيتهم نجد "ابن الدراج التلمساني" المتوفي سنة 693هـ/1294م، "ابن خميس التلمساني" المتوفي سنة 708هـ/1309م، "ابني الإمام محمد بن عبد الله التنسي"، وهما "أبو زيد عبد الرحمان" المتوفي سنة 743هـ/1341م، و"أبو موسى عيسى" المتوفي سنة 749هـ/1348م، كذلك نجد "أبو عبد الله المقري التلمساني" المتوفي سنة 759هـ/1359م، "ابن زاغو التلمساني" الذي توفي في 845هـ/1441م، أيضا "أبو الفضل العقباني" الذي أخذ العلم عن والده، توفي سنة 854هـ/1450م. (خالد ضو، 2022، ص-ص 81-83)

ويعتبر العصر الزياني عموما في المغرب الأوسط من أزهى العصور، حيث ازدهرت فيه الثقافة والتعليم وعرفت البلاد أوج مجدها الحضاري والفكري والعلمي، ويعود ذلك إلى نمو الحركة التعليمية التي ساهمت في ظهور جيل من العلماء الذين قادوا المسيرة العلمية، ومن مظاهر هذا الاهتمام إنشاءهم ورعايتهم للمؤسسات التعليمية التي كان لها فضل كبير في تفعيل النشاط الفكري مثل "مدرسة ابني الامام"، "مدرسة أبي مدين"، "المدرسة اليعقوبية" و"المدرسة التاشفينية"... إلخ. (عبد العزيز قبيوج، 2019، ص 41)

كذلك انتشرت الكتابات والمساجد والمدارس والزوايا، وظهر عدد هائل من العلماء تركوا تراثا علميا هائلا ما يزال متوارثا بين الأجيال، على الرغم من اضطلاع المساجد والكتاتيب بمهمة التربية والتعليم تعتبر الزوايا أهم المؤسسات العلمية في بلاد المغرب، حيث تطلق الزاوية على البناية ذات الطابع الديني الثقافي تقام فيها الصلوات الخمس، فضلا عن الدروس التي كانت تلقى على الطلبة، وكانت تمول بأموال الحبوس والأوقاف لتقوم بوظيفتها على أحسن وجه، حيث أوكلت لها مهمة تحفيظ القرآن الكريم وتدريب مختلف العلوم سواء النقلية أو العقلية.

ويعتبر "أبو حمو" فريد عصره أشاد به المؤرخون، وقد وصفه "ابن الأحمر" في قوله «تمسك بالعلم فسما في سماء المعالي وتحلى بالحلم فعلى على المعالي، وبرع في نظم القريض وجمع نور روضة الأيض وجاز من الشرف بذلك ما أنسى به شرف كل مالك، وعقله عقل به جماح الأمور، وبهاؤه يذكره الركبان». (ابن الأحمر، 1987، ص110).

وفي سنة 754هـ/1343م سار ابنه "أبو عنان" على خطى والده فبنى مدرسة أخرى بتلمسان غرب ضريح الولي "أبي عبد الله الحلوي"، وكان السلطان "أبو حمو موسى الثاني" حامل راية السلالة الزيانية، من الداعمين المعترف بهم في العلوم والآداب.

ثانيا

بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني

ثانيا: بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني

مقدمة

على تنوع المراحل الحضارية التي مرت بها الجزائر وتعددتها أثرت كل منها على المجتمع الجزائري، وتعتبر الفترة العثمانية من أهم الفترات التي شهد فيها التنوع الاجتماعي والثقافي،

ولعل بعض هذا الثراء والتنوع لا يزال قائما وله تأثيره نجده ونلمحه اليوم من خلال مصطلحات معينة، وكذلك من خلال الجنس والعرق، حيث تأثرت الأوضاع العامة في الجزائر، سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية بشكل كبير بطبيعة وسمات الحكم العثماني الذي دام أكثر من ثلاثة قرون من جهة، وبشخصية القادة الأتراك من جهة أخرى، واتسمت هذه الأوضاع تارة بالاستقرار والرخاء، وبالأضطراب والانحدار تارة أخرى.

وعن سبب دخول العثمانيون إلى الجزائر، فقد جاء استجابة لطلب أهالي الجزائر وعلمائها حيث بعثوا برسالة إلى السلطان سليم الأول، يطلبون فيه من الدولة العلية مساعدتهم وإنقاذهم من الاحتلال الإسباني الصليبي. وهذا ما ذكره المؤرخ التونسي الدكتور عبد الجليل التميمي أنه عثر على وثيقة في الأرشيف العثماني تتحدث عن طلب أهالي الجزائر مساعدة العثمانيين، وتمت ترجمة هذه الوثيقة، ونشرت في المجلة التاريخية المغاربية. (Metin Serifoglu, (2022), p 252)

ففي ظل الظروف الصعبة التي وجدت عليها الجزائر، وما قامت به إسبانيا من مجازر في حق المسلمين الأندلسيين وفي حق سكان منطقة المغرب العربي، وسياسة التنصير التي بدأتها في تلك المناطق، كانت أهم الأسباب التي دفعت العثمانيين إلى التحرك بسرعة للتدخل، خصوصا عندما ارتفعت أصوات أهالي المنطقة مستغيثة بالسلطان العثماني لكي يتدخل، ويحمي المنطقة من الحملات الإسبانية الصليبية التي انطلقت نحو السيطرة على شمال إفريقيا بالتزامن مع الحملات الاستكشافية التي بدأتها البرتغال نحو الشرق.

ومن جهة أخرى يجب ألا ننفي الاستراتيجية التي اعتمدها الدولة العثمانية ورغبتها في التوسع نحو الشرق والغرب، ومدى اهتمامها بأخذ الزعامة وإخضاع كل الدول الإسلامية لها، ومع هذا نقر بأن التدخل العثماني في الجزائر لم يكن احتلالا مفروضا عليها بالقوة.

1. انتشار حركة التأليف

1.1. مختلف طبقات المجتمع الجزائري: تعكس البنية الاجتماعية للجزائر التنوع العرقي من حيث أصول المجتمع الجزائري، وفي ظل وجود عناصر بنيوية أصبح النظام المجتمعي أكثر تماسكا بسبب المزيج الثقافي الذي كان موجودا هناك، مما أدى إلى تكوين عدة طبقات اجتماعية.

✓ الطبقة الحاكمة: تضم أتراك القوات الإنكشارية وموظفين ورؤساء قبطانة بحرية، ورغم قلة عدد هذه المجموعة التي لم تتجاوز 6000 شخص، إلا أنها سيطرت على سلطة الحكومة

وتمارس نفوذا واسعا، بتولي مناصب حكومية مهمة في الدولة وإبعاد أبناء الوطن عنها، وقد حاولوا إبعادهم عن مناقشاتهم، وكذلك إخراج سكانها من منطقة الأناضول في حال وجود قصور في إدارة البلاد، مما سبب العداة بين أهل البلاد والطبقة الحاكمة بين الأتراك. (ناصر الدين سعيدوني، 2010، ص 52)

✓ كوروغليس (العثمانيون الجزائريون): وهي المجموعة التي تشكلت بعد زواج أفراد الجيش الإنكشاري من جزائريات، ظهرت هذه الطبقة لأول مرة في المدن التي تمركزت فيها الحاميات العثمانية، وطرحت هذه المجموعة عدة مشاكل بعد تزايد أعدادها، مما دفع الحكام العثمانيين في الجزائر إلى إقالتهم من مناصب حكومية مهمة.

✓ المهاجرون الأندلسيون: وهم الذين قدموا إلى الجزائر في عهد خير الدين وخلفائه، وبعد استقرارهم ساهموا في لعب دور فعال في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، من خلال التوسع وبناء المدن في الجزائر، وإذا لم يتمكنوا من الالتحاق بالجيش أو المناصب العليا، اتجهوا إلى ممارسة عدد من الصناعات المحلية، بما في ذلك البارود والسيراميك. (يامنة بحيري، 2012، ص 180)

✓ العبيد: تمثل الفئة المضطهدة والتي تشكل نسبة لا يستهان بها من المجتمع الجزائري، خاصة أولئك الذين تعود جذورهم وأصولهم إلى السودان، ويتراوح عددهم بين 150 و 500 شخص، وكانت الجماعات الحاكمة تمتلك العبيد للترويج عن أنفسهم.

✓ اليهود: شهدت الجزائر زيادة في أعدادهم بسبب الهجرات من مختلف المناطق، حيث ارتفعت مكانتهم الاقتصادية من خلال بيع الغنائم البحرية، فضلا عن الوساطة التجارية التي مارسوها، وكان لديهم سمعة سيئة في المجتمع الجزائري بسبب ممارساتهم وكسبهم غير المشروع. (محمد أمين، 2003، ص 301)

2.1. الوضع الثقافي في الجزائر:

إن التهجين الذي حدث في التراث الثقافي هو نتيجة تجانس واختلاط العناصر الاجتماعية للمجتمع الجزائري، ويعود دخول بعض الثقافات إلى القادمين من خارج البلاد، مما أدى إلى التنوع الثقافي وظهور عدد من المدارس منها الدينية والفقهية وغيرها، وانتشرت في كامل تراب الجزائر، واحتلت الزوايا المراتب الأولى في استقبال العلم بين الطلبة سواء من داخل الجزائر أو خارجها، وكانت هذه المؤسسات العلمية تضم عددا من علماء المسلمين، ومهما كانت تخصصاتهم، فقد انخرط بعضهم في مجال الفلسفة والأدب، إضافة إلى علوم أخرى أبرزها العقلي والعبرائي، وكان للزوايا والمساجد دور كبير في تعزيز النشاط العلمي والديني، حيث قامت هذه المؤسسات بتدريب

العديد من الطلاب في العلوم، بالإضافة إلى عدة مهام أهمها العبادة والتعليم، وكذا إيواء الطلاب القادمين من مناطق أخرى سواء من الداخل أو من الخارج، وكان أهم دور قامت به هذه المؤسسات هو تحفيظ القرآن الكريم لطلابهم، والملاحظ أنه كان هناك نقص في الإنتاج الثقافي خلال العهد العثماني في الجزائر، وذلك لأن الولاة العثمانيين كان لديهم تدريب ثقافي محدود، حيث كان هذا الجانب يقتصر على المدن والحوضر.

ومع ذلك قليلون في الجزائر ممن حافظ على تراثه الفكري الذي توارثه وتفوق فيه بعض العلماء والشعراء. وقد تأثر التعليم بعوامل خارجية منها الهجرة الأندلسية، أين عرف مجال التعليم من النحو والأدب والعلوم والموسيقى نموا وازدهارا، ويرجع ذلك إلى اتصالاتهم مع الأوروبيين في عصر النهضة بعد افتتاح الجامعات في أوروبا، أما اللغة العربية فهي اللغة السائدة بين الجزائريين، وكما جعل الأتراك العثمانيون اللغة التركية لغة أساسية ورسمية للبلاد، فإن التبادلات التجارية التي تمت بين الدول الأوروبية في الجزائر طورت الوضع الثقافي للبلاد، إلا أن السلطات العامة اهتمت أكثر بجوانب أخرى بما فيها تطوير الجانب الثقافي. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص ص 46-47)

كما كان العديد من الطلاب الجزائريين يرغبون في مرافقة مشايخهم لفترات طويلة، فمنهم من يقيم أشهراً والبعض الآخر سنوات للتعرف على علوم الدين والفقه وغيرها من العلوم، وكانت الإجازة تمنح للطلاب بعد الانتهاء من دراسته، ومهم من يرغب في مواصلة دراسته وتطويرها، ونجد منهم من هاجر إلى مراكش وتونس ومصر والحجاز، والتقى بعلمائهم وحصل على العلم بين أيديهم، وقد عمل كثير منهم بعد عودتهم في التدريب والقضاء وبعض الوظائف الأخرى، أما المكتبات فكانت موجودة قبل وصول العثمانيين إلى الجزائر، والكتب التي تحتويها كانت مكتوبة محليا وكان هناك منها ما تم استيراده من خارج الجزائر، وأهمها من الأندلس ومصر واسطنبول والحجاز.

واللافت أن الحكام العثمانيين لم يهتموا بالوضع الثقافي، لكن هذا لم يمنع الجزائريين من استكمال ما بدأوه في تعليمهم، وكذلك الاهتمام بالمكتبات والحفاظ عليها من أجل اثناء الزوايا والمدارس بالمعلومات وما تحويه الكتب والمخطوطات المختلفة بهدف تحسين الوضع الثقافي هناك.

3.1. مسألة التأليف بالجزائر

خلال هذه الفترة نظام التعليم والحركة الثقافية، بصفة عامة كانا يرتكزان بالأساس على الكتاب في أماكن خاصة، سواء كانت دكاكين الوراقين أو المكتبات الخاصة، وثمة عدة مناطق أولت اهتمامها لقضية التعليم، فعلى سبيل المثال، كانت منطقة الزواوة متميزة في مجال العلم، حيث كثرت بها المدارس والزوايا، وأتيحت فرصة للتعليم طالما كان كل فرد متواجد بها يجيد القراءة والكتابة،

وبالتالي تعددت الوسائل المتاحة لأجل التعليم، فساد ما يعرف بالاعتزاز القوي لدعم التدريس باللغة العربية ذات النهج الإسلامي، وعليه برزت زوايا جد مهمة بالجزائر أين تجعل كل من لم يتلقى تعليما ضمنها بغير عالم، وفي هذا الصدد نذكر زاوية ابن أبي داود المتواجدة في "تاسلنت" ببلدية "أقبو" المتعلقة في تدريس الفقه، وهي أم الزوايا العلمية في القرون الثلاثة الأخيرة، إضافة إلى زاوية "شلاطة" المختصة في دراسة القرآن. (محمد صالح السمعوني، 2022، ص22).

2. الثنائية المذهبية:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني مذهبين في الفقه الإسلامي هما المذهب المالكي والمذهب الحنفي، كلا المذهبين يستندان على الكتاب والسنة النبوية، إلا أن هناك وجهات نظر بخصوص العديد من المسائل الفقهية والأصولية مختلفة، حيث ظلت متباينة منها مثلا ما يتعلق بالوقف، الزكاة، الصيام وغيرها.

1.2- المذهب المالكي:

يبني المالكية عقيدتهم على القرآن والسنة والإجماع شأنه شأن المذاهب السنية الأخرى، فتاريخيا سيطر المذهب المالكي على المغرب العربي حتى وصول الفاطميين (910م) الذين أرادوا فرض المذهب الشيعي الإسماعيلي، لكن تم تنظيم مقاومة حقيقية بقيادة علماء المالكية، ليتم اعتماد المذهب المالكي في بلاد المغرب سنة 1048م، إلا أن ولادة المذهب المالكي وانتشاره كان بعد قيام الدولة الزيانية، حيث انتشرت المدارس المالكية الجديدة.

وقد بنى المالكية أصول المذهب على الكتاب، السنة، الإجماع، إجماع أهل المدينة، القياس، قول الصحابة، المصلحة المرسلّة، العرف، سد الذرائع، الاستحسان والاستصحاب، وقال بعضهم أن الامام ذكر سبعة عشر من الأصول، إلا أن الامام الشاطبي لخصها في أربعة هي الكتاب والسنة والاجماع والرأي وتشمل السنة عمل أهل المدينة وقول الصحابي، ويشمل الرأي المصالح المرسلّة وسد الذرائع والعادات والاستحسان والاستصحاب. (ياسين بوفوس وآخرون، 2019، ص08)

ومع التواجد العثماني بالجزائر وبالرغم من اختلاف الانتماءات العرقية والمذهبية فلم يمنع ذلك من وجود أرضية عمل مشتركة في مجال القضاء والافتاء، حيث أعطت الدولة العثمانية أولوية الاهتمام بالمعالم الفقهية المالكية مثل الجامع الأعظم الذي يرجع لعهد المرابطين، وحرصوا على ترميمه ونظافته.

كما قربوا المفتي المالكي وجعلوه جنبا إلى جنب مع المفتي الحنفي ومنحوهم نفس الامتيازات، فكان يعين من طرف الباشا وكانت وظائفهم مختلفة مثل التدريس ووكالة الأوقاف والامامة والخطابة وله أن ينوبه غيره، كما فعل سعيد قدورة الذي كان أبناؤه ينوبونه، وكان المفتي يحظر مجلس الشورى الأسبوعي وجلسة الديوان إذا دعي إليها، وغالبا ما يميل الباشا إلى المفتي الحنفي، وجعلوا وظيفة شيخ الاسلام في قسنطينة في يد "عائلة الفكون" مالكية المذهب، وذلك للدور السياسي الذي لعبته في انتصار العثمانيين وأهمية المدينة، كذلك الأمر في تلمسان حيث تولى العالم والمدرس "سعيد المقرري" الافتاء فيها وكان خطيب جامعها الكبير ثم أناب ابنه محمد مكانه رغم صغر سنه. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص399)

2.2- المذهب الحنفي

المذهب المالكي هو مذهب أهل المغرب عموما وأهل الجزائر بشكل خاص، ومع دخول الجزائر تحت كنف العثمانيين مطلع القرن السادس عشر استقدموا المذهب الحنفي الذي يعتبر المذهب الرسمي للدولة العثمانية، فأقيمت المساجد جميع أنحاء البلاد فمثلا مدينة الجزائر لوحدها شيّدت بها ثمانية مساجد على غرار "جامع دار القاضي"، "الجامع الجديد"، "الجامع السفير"، "جامع كتشاوة"، "مسجد حسين داي" و"مسجد علي خوجة"...إلخ.

وتذكر المصادر أن علماء الشرق وخاصة الأحناف منهم كانوا يتوافدون على الجزائر بغرض تولي الوظائف الشرعية كالإفتاء والقضاء والتدريس وغيرها، وظهر هنالك أسباب عديدة وراء ذلك أهمها السعي للكسب المادي وتحسين أوضاعهم المعيشية، وكان بعضهم لا يتأخرون عن أخذ الرشوة من المتقاضين والحكم بالزور، ومن هؤلاء القاضي الحنفي بقسنطينة "عبد الله محمد بن المسبح"، غير أن هذا لا يجعلنا نجزم بأن كل العلماء الأحناف الذين قدموا إلى الجزائر كانوا من هذا الصنف، بل نجد منهم من كانت له أهداف وغايات علمية ودينية محضة، فتركوا بصماتهم من خلال كثرة التأليف ومساهمة في نشر المذهب الحنفي وتثبيت وجوده في الجزائر لفترة طويلة من الزمن. (محمد بوشنافي، 2015، ص ص 222-223)

وقد تم استحداث منصب القاضي للفصل في الخصومات وأسندت مهمة القضاء إلى فقهاء من المذهب الحنفي وتم وضع دار للفتوى يتولى إدارتها مفتي حنفي تقليدا لدار الخلافة بإسطنبول، كذلك كان فقهاء الحنفية مقربين من طرف رجال الدولة، وكانت لهم مكانة عند الحاكم وممثليه في سائر الولايات، رغم ذلك لم يتسنى للمذهب الحنفي أن يناهض المذهب المالكي من حيث الانتشار،

فلم يتعدى وسط وشرق الجزائر في حين كان محتشم في الغرب، حيث تعتبر الجزائر العاصمة مركز للمدرسة الحنفية وقد عمل علماء هذه المدرسة على محاولة التوسع في مازونة ووهران، ولكن كان ذلك بشكل محدود. (صالح بوشيش، 21-22 أبريل 2004، ص 154)

ومن أعلام الحنفية في الجزائر نجد من هم وافدون قدموا من الدولة العثمانية مثل "حسين بن محمد العنابي" وهو مفسر ومفتي العاصمة، "محمد بن العنابي" الذي تولى القضاء بالعاصمة، "مصطفى العنابي" الذي كان فقيها، وكلهم ينتمون إلى أسرة العنابي الذي عرف عنها حبها للدين والعلم ووزارة الإنتاج العلمي والفقهية وعلوم الشريعة، لتبقى بعض الكتب والمؤلفات شاهدة لهذه الأسرة مثل "كتاب شرح الدر المختار في الفقه الحنفي"، "كتاب العزيز في التجويد"، "كتاب صيانة الرياسة" و"كتاب السعي المحمود في نظام الجنود". (صالح بوشيش، المرجع نفسه، ص ص 155-157)

كذلك من أعلام الحنفية الوافدين نجد "الحسين بن رجب شاوش" وهو أول الكراغلة الذين تولوا الإفتاء، وكذا "فتح الله الشامي" الذي كان خطيب مسجد سيدي كتاني ومدرسا ثم قاضيا، "المازوني" نسبة لمازونة والمعروف بابن منزل الفقيه والعالم صاحب "كتاب تحفة الملوك في حصر أصول الإرث المتروك"، وغيرهم من الأعلام.

أما الأعلام المحليين فهم كثيرون ومن بينهم "محمد بن سالم ابن الطبال"، "مصطفى بن الشاوش القسنطيني"، والعالم الورع "باش ترزي" الذي كان قوي الحفظ والفهم مشبع بعلوم النقل والعقل، وكان عارفا بأمر الفلك. (المرجع نفسه، ص 157)، كذلك "أسرة ابن علي" التي عرفت بوزارة العلوم الفقهية وكذا علوم الأدب والشعر، وغيرهم من العلماء والفقهاء الحنفية. (عادل نويهض، 1980، ص 241)

3.3- بعض مظاهر التعايش بين المذاهب

عمل العثمانيون على الجمع بين ممثلي المذاهب ضمن الهيئة العلمية للمجلس العلمي الذي كان يعد بمثابة الهيئة التشريعية لمؤسسة الأوقاف التي ضمت المفتين الحنفي والمالكي وكذلك القاضيين من المذاهب وضابط الإنكشارية لفرض الأمن والانضباط، إلا أن رئاسة المجلس كانت من نصيب المفتي الحنفي، بالإضافة إلى مجموعة من الموثقين من أجل كتابة وتوثيق كل ما يجري في المجلس، وقد احتفظ كل من الفقيهيين بالألقاب الشرفية التي كانت تقيد في سجل هيئة الإفتاء للتعريف بهما، مثل قول الشيخان الفقيهان العالمان العاملان الامان الهامان المحدثان المدرسان الواعظان الخطيبان السيدان... إلخ. (عبد الحفيظ موسم، 2019، ص 128-130)

فالإدارة العثمانية لم تفرض المذهب الحنفي على بقية السكان على حساب المذهب المالكي، بل العكس من ذلك، فقد بقي السكان الأصليين على مذهبهم المالكي في معاملاتهم اليومية والفقهية والاجتماعية، وهو ما انعكس على واقع المؤسسات والهياكل القضائية التي أصبحت تتصف بالازدواجية والثنائية بين الأحناف والمالكية، على غرار تنوع المحاكم في المدن الكبرى من المذهبيين وتترك الحرية للمواطن في التقاضي كل حسب مذهبه دون تدخل الدولة، وعلا هذا الأساس نؤكد بوجود تعايش سلمي بين المالكية والحنفية في مجال القضاء والافتاء.

أما فيما يخص التعليم، فبالرغم من دعم الدولة العثمانية للمذهب الحنفي من أجل تواجده في الميدان التعليمي تدريسا وتصنيفا وتصنيعا، إلا أن الشعب الجزائري اختار التعليم على المذهب المالكي طيلة فترة حكم الأتراك، وأكثر ما ميز هذه الحقبة هو كثرة الدراسات القرآنية والفقهية وعلم الحديث، ولم تضيق الدولة العثمانية على انتشار المذهب المالكي ولم تفرض الحنفية بالقوة على الشعب الجزائري، بل تواجد علماء المذهبيين جنبا إلى جنب بجميع المؤسسات التعليمية. (المرجع نفسه، ص134)

فمن بين أهم المؤسسات الدينية والتعليمية نجد "المسجد الكبير" للمالكية أو "المسجد الأعظم"، و"مسجد خيضر باشا" للأحناف وقد ضما كلاهما مدرسين من المذهبيين من دون عصبية مذهبية ولا عداوة بينهم، بل كان فقهاء المالكية يعتبرون المذهب الحنفي مذهباً سنياً يستند إلى أحكام الكتاب والسنة النبوية.

3. العلوم السائدة في الجزائر :

عرفت الحركة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني بروز العديد من العلماء في مختلف الميادين، وذلك نتيجة مجموعة عوامل ارتبطت أساسا بالهجرات المتتالية وكذا الاحتكاك المستمر بالغرب والشرق، وعموما تنقسم هذه العلوم إلى قسمين.

1.3. العلوم العقلية:

يقول ابن خلدون "وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان من حيث أنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لأهل الملل وكلهم يستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليفة". (ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، (2004)، ص248)

ويقصد بالعلوم العقلية تلك العلوم التي تستند بشكل أساسي على العقل والتحليل والاستدلال المنطقي للوصول إلى المعرفة وتفسير المفاهيم والقضايا، مثل الكلام، الفلسفة، وعلوم الفلك، الحساب،

الرياضيات، الجبر والهندسة، العلوم الطبيعية، علوم الكيمياء والصيدلة، علوم الطب وغيرها، غير أن هذه العلوم خلال العهد العثماني لم تكن منتشرة في الجزائر، حيث كان التحرك العقلي للعلماء محدودا لظروف العصر، وكذا نتيجة اهتمام الجزائريين بالعلوم الشرعية والتاريخ لتصبح في مجملها علوما ثانوية بالنسبة للجزائريين ودراستها كانت بشكل فردي وغالبا تعبدي لفهم النصوص الشرعية والأحاديث النبوية، كما هو الحال في دراسة علم الفلك الذي كان هدفه معرفة مواقيت الصلاة ومواقيت الإفطار والامساك عن الصيام.

✓ **علم الفلك والحساب:** يعتمد عموما الحساب على الذكاء والموهبة، ولعل أشهر عالم في ذلك الزمان هو "عبد الرحمان الأخضرى" الذي نظم أرجوزته التي أطلق عليها "الدرة البيضاء"، وقام بتقسيمها إلى أجزاء ثلاثة. قسم خاص بالحساب والثاني خاص بقواعد الفرائض، والأخير يتعلق بالقسمة العملية للتركات. (بوشيبية ذهبية، 2017، ص117)

وهناك علماء آخرون برزوا في علم الفلك والتنجيم أمثال "أحمد بن عيسى المرصاوي"، "سحنون بن عثمان" و"أحمد الونشريسي"...إلخ.

✓ **علوم الطب والصيدلة:** أدى جهل الحكام وتدني المستوى التعليمي للجزائريين والاعتماد على النقل إلى اغلاق باب الاجتهاد، ومع ذلك ظهر بعض العلماء في محاولة لكسر القاعدة والحصار على غرار "ابن حمادوش" الذي اهتم بعلوم مختلفة كالطب والفلك والهندسة، فقرأ كتباً عربية لأهل المشرق والأندلس أمثال "ابن سينا"، "ابن بيطار"، "الأنطاكى" و"الملطى" وغيرهم، كما قرأ كتب غير عربية لعلماء أمثال "الرازي"، "الفرابى" "البيرونى"... وغيرهم، وكانت ثقافته تقوم أساسا على الترحال وقوة الملاحظ والتجربة، وقد ألف مجموعة من الكتب وكتب العديد من الرسائل مثل كتاب الطب "الجواهر المكنون في بحر القاتون". (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص ص 426-428)

✓ **علم الكيمياء:** ظهر هذا العلم في الجزائر قبل الحقبة العثمانية لارتباطه بالطب والصيدلة، ونتيجة انصراف الطلبة لدراسة علوم التصوف وعدم وجود أساتذة في الكيمياء، أصبح هذا العلم شبه منعدم.

✓ **المنطق:** مساهمة الجزائريين في احياء هذا العلم جد ضئيلة باعتباره من العلوم الصعبة التي تحتاج إلى مراجعة الدراسات السابقة للعلماء المتقدمين، ولأن المجتمع الجزائري ركز اهتمامه بعلوم الباطن وتمسك بالتصوف فقد اعتبر العلماء أن المنطق من العلوم التي تؤدي إلى الكفر والالحاد. وأشهر علماء المنطق في تلك الحقبة نجد "عبد الرحمان الأخضرى"، "ابن

حمادوش"، "السنوسي" و"محمد بن عبد الكريم المغيلي". (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص ص 149-151)

وقد كان العالم "السيوطي" قد نهى عن أخذ العلم من غير المسلمين، إلا أن العالم "محمد بن عبد الكريم المغيلي" قد رد حجه، وقال إن المنطق هو الحق أو هو المؤدي إلى الحق، وأن أخذ الحق يجوز من غير المسلمين، لأن معرفة الناس للحق هي المبدأ المعتمد وليس معرفة الحق بالناس. (بلخير عمراني، 2020، ص 194)

2.3. العلوم العقلية:

هي كل العلوم المستندة إلى النقل، وتشمل العلوم الشرعية كعلوم القرآن الكريم والتفسير، علوم الحديث والسيرة النبوية، الفقه والأصول...إلخ، وزد عليها العلوم الأدبية كالنحو واللغة والشعر، والعلوم التاريخية، وقد برز عدة علماء في العلوم الدينية، إذ كانت واسعة الانتشار مقارنة مع العلوم العقلية، وهذا لارتباطها المباشر بالأمور الدينية وهيمنتها على الحياة الثقافية للمجتمع الجزائري، وكذا تشجيع الحكام على الاهتمام بالثقافية الدينية التي تمثل الهوية الوطنية خاصة ما تعلق بالطرق الصوفية في ذلك العصر.

✓ **علم التوحيد:** يعتبر أهم العلوم الإسلامية وأقدمها ظهورا، فكل الرسل كانت دعوتهم هي توحيد الله تعالى والابتعاد عن الشرك والكفر، فهذا العلم تبنى عليه العقيدة الصحيحة والسليمة، ويثبت وحدانية الله عز وجل ويسعى إلى تنزيه الذات الإلهية وإثبات أسمائه وصفاته، بأسلوب المجادلة وإظهار الحجج والبراهين.

لعل أشهر علماء العصر في الجزائر الذين درسوا وخاضوا في علم التوحيد نجد "عبد القادر الراشدي" مفتي قسنطينة، كذلك العالم "محمد البوزيدي"، "محمد بن عبد الرحمان الحوضي" صاحب أرجوزة "بواسطة السلوك" في علم التوحيد، وفي أواخر القرن التاسع للهجري برز العالم "محمد بن يوسف السنوسي" الذي ساهم في انتشار هذا العلم في جميع أطراف العالم الإسلامي، ومن طلبته نجد "المقري" الذي نقل علم شيخه إلى مصر. (عبو إبراهيم، 2018، ص ص 158-160)

✓ **علوم القرآن:** بادر علماء الجزائر إلى تفسير وفهم القرآن الكريم وشرح الآيات لإزالة الغموض عنها، إلا أن التخلف الثقافي عن العلوم الشرعية وعن الدين واللغة كان عائقا أمام العلماء في التوسع والبحث ولم ترقى إلى المستوى، لتبقى بعض الأعمال القليلة التي قدمها بعض العلماء على غرار "محمد بن عبد الكريم المغيلي" صاحب كتاب "البدر المنير في علوم التفسير"، أيضا "شقران بن محمد المغراوي"، "سعيد بن أحمد المقري" وقد ألف

كتاب "إعراب القرآن"، كذلك نجد العالم "أحمد بن يوسف البوني" وله العديد من المؤلفات المتعلقة بتفسير القرآن مثل "إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن" وكتاب "التيسير في اسنادنا في كتب جمع من التفسير"، والعالم "يوسف بن محمد أبو يعقوب" صاحب كتاب "حاشية على الجلالين". وغيرهم من الأعلام والفقهاء الذين كان لهم الفضل في تفسير وشرح الكثير من الآيات والسور. (المرجع نفسه، ص ص 170-172)

والمقصود بعلم التفسير هو دراسة معاني القرآن ومحاولة فهم نصوصه، ولا يتم ذلك إلا بعد حفظ القارئ القرآن الكريم أو أجزاء منه، ويدور حول معرفة معاني القرآن وأحكامه. (صاحبي سامي وسبقاقي مسعودة، 2019، ص 353)

بالإضافة إلى علوم التفسير توجد علوم أخرى كعلم التجويد والقراءات، علم الرسم، علم الإعجاز، علم شكل القرآن وعلم الناسخ والمنسوخ...إلخ

✓ **علوم الحديث والسيرة النبوية:** اهتم علماء الجزائر بهذه العلوم رغبة منهم لمعرفة وفهم جميع الجوانب التي تخص حياة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى تتضح الصورة الحقيقية للإسلام، وتتجلى الحياة التي عاشها الصحابة والتابعين لأفراد المجتمع، وهي أقسام عدة كعلم الرواية، علم الدراية، علم العدل والتجريح، العلوم التي تهتم بالناسخ والمنسوخ...إلخ.

كذلك اختصت علوم السيرة بسرد كل ما تعلق بأقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم، وكل الوقائع والأوصاف المتعلقة بصفات النبي الكريم وغزواته.

وقد اهتم العلماء بتدريس وقراءة صحيح البخاري، بل واسماعه للحضور في المساجد خلال شهر رمضان، ومن مظاهر اهتمام علماء الجزائر بالحديث هو الكم الهائل للأعمال والكتب المتعلقة بالحديث وبالسيرة النبوية، وأشهر علماء الحديث والسيرة نجد الفقيه والعالم "محمد بن أحمد بن عبد القادر الراشدي" صاحب مجموعة متنوعة من الكتب، أيضا "محمد بن علي التلمساني"، العالم "أحد المقري التلمساني" الذي تصدر تدريس صحيح البخاري في المدينة المنورة والأزهر وحتى بالجامع الأموي بدمشق. (بشير ضيف بن أبي بكر، 2011، ص 68)

وقد كانت مدارس تلمسان عاصمة الدولة الزيانية مهدا لتدريس علم المنطق إلى جانب العلوم الشرعية والفقه والحديث، حيث تولى العالم "أبو موسى بن الامام" مهمة تدريس المنطق إلى جانب علمي الأصول والكلام فنتلمذ على يديه الكثير من العلماء، وفي المقابل برز في قسنطينة

كوكبة من الشيوخ الذين حملوا على عاتقهم تعليم ونشر المنطق بين الطلبة كالشيخ "علي الغربي" والشيخ "أحمد بن يونس" و"إبراهيم بن فاند".

أما في الجزائر العاصمة فقد برز الامام "عيسى الثعالبي" على رأس مجموعة من المشايخ الذين اهتموا بتدريس المنطق، أما في بجاية فقد برز الشيخ "السخاوي" والذي أخذ العلم عن شيخه "أبي الفضل محمد المشدالي".

✓ علوم اللغة (اللسانيات): كان التأليف في اللسانيات جد محدود وحكرا على مجموعة من العلماء أمثال "محمد بدوي" الذي لخص كتاب "الإعتماد في الفرق بين الظاء والضاد"، كذلك ألف "أبو راس الناصر" كتاب "ضياء القابوس في كتاب القاموس" وكتاب "رفع الأثمان في لغة الولايم والثمان"، وقد أخذ التأليف في النحو نصيبه حيث كتب "قاسم بن عبد الله المرادي" كتابه الذي يتعلق بقواعد الإعراب سماه "شرح في النحو". (بوشيبة ذهبية، 2012، ص118)

وما يمكن قوله في هذا المقام كذلك أن علماء الجزائر قد أسهموا في ميدان البيان والمعاني حيث عمد "بن أبي القاسم الثعالبي" إلى شرح "قصيدة الحلي" شرحا بليغا في كتابه "أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي"، كما شرح "محمد بن محمد بن علي الجزائري" كتاب "الجواهر المكنون"، واشتهر "علي بن عبد القادر" بتأليفه كتابي "رسالة في أما بعد" و"حاشية على مختصر السعد"، وعرف "سعيد قدورة" في قواعد العروض لشرحه كتاب "الخزرجي" بعنوان "الرامزة الشافية في علم العروض والقافية"، حيث كان يشمل النثر الأدبي والمقامات، الرسائل الرسمية والإخوانية، الوصف والتعازي وعقود الزواج، الشروح الأدبية والإجازات، القصص والخطب. (المرجع نفسه، ص119)

4. التصوف

1.4- نبذة عن التصوف

للتصوف مكانة كبيرة ومهمة في تاريخ الأمة الإسلامية عموما وتاريخ المجتمع الجزائري بشكل خاص، وهي ظاهرة مبنية على التقوى وكثرة العبادة بهدف تنمية القيم الروحية، وكان يعرف التصوف عند التابعين وتابعيهم بالزهد، ولعل أشهرهم العالم والفقير "الحسن البصري" الذي كان كلامه أشبه بكلام الأنبياء، كذلك "رابعة العدوية البصرية" التي اشتهرت بالورع وكثرة العبادة سبقت بهذا فحول الرجال، أيضا "الجنيد البغدادي" العبد التقي النقي الزاهد الورع، وغيرهم من

الذين عرفوا بالتصوف، وقد أثنى عليهم العلماء من السلف والخلف أمثال "سفيان الثوري"، "ابن الجوزي"، "الامام الذهبي" والكثير من العلماء السنيين الذين عرفوا بالنزاهة وغيرة العلم.

وقد صار للصوفية أساتذة ومدرسين جالوا الأقطار الإسلامية من أجل نشر أفكارهم بين المسلمين، حتى وصلوا إلى المغرب العربي ليظهروا تمسكهم بالدين وميلهم إلى الحياة الصوفية، وبحكم قيام الدولة العثمانية على أسس التصوف والطرقية فقد حرصوا على نشر أفكارهم في الجزائر وسعوا إلى كسب ود الجزائريين الذين عرفوا بالتصوف من قبل تواجد الأتراك، وبهذا فالظروف التاريخية للجزائر جعلت منها موطنًا خصبا لنمو وترعرع الأفكار الصوفية داخل المجتمع، إلا أن انحراف الصوفية ودخول أفكار دخيلة، بل ومعتقدات غريبة تسربت وتلبست بالدجل والخرافة قد انغرست في الثقافة الدينية للجزائريين في تلك الحقبة، فمن آفات المتصوفة المتأخرين اتباع معهود الرجال بدل معهود السنة ورجال السلف وحكم الحق، وذلك ما لم يقل به أهل التصوف في حقيقة طريقتهم وأصول مذهبهم، ضف إلى ذلك ادخال الكثير من البدع والضلالات كالغناء والرقص...إلخ.

والمنتبع لتاريخ الجزائر يعرف بأن البلاد كانت مستهدفة من طرف الأوروبيين الذين حاولوا مرارا استعمارها وشن عدة حملات، الأمر الذي أدى إلى تشكيل تحالف الصوفية مع الدولة العثمانية لصد هذه الحملات الصليبية على غرار حملة "شارل الخامس" سنة 1541م، وهنا زاد شأن الحركة الصوفية في الجزائر وعلا، وزادت الروابط بين الصوفية وتعددت الطرق وارتفع عدد المريدين، واستطاعت الحركة امتلاك القوة ونسجت شبكات النفوذ من أجل التحكم بزمام الأمور وإقامة إمارات مستقلة عن الدولة العثمانية.

ويرى العالم الورع "بشر الحافي" أن الصوفي هو من صفا قلبه لله، وعرف الامام العابد الزاهد "الجنيد بن محمد البغدادي" التصوف على أنه ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع. (ناجي حسين جودة، 2006، ص ص 17-18)

أما "ابن خلدون" فيرى أن التصوف هو رعاية حسن الأدب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند حدوده، مقدما الاهتمام بأفعال القلوب مراقبا خفاياها، حريصا بذلك على النجاة، وقال أيضا أن التصوف هو التخلق بمجاهدة الاستقامة مقتصرًا عليها وبمجاهدة الكشف، ومن شروطها مجاهدة الاستقامة فيتخلق بهما معا. (ابن خلدون، حقه محمد مطيع الحافظ، 1996، ص 81).

2.5- أهم الطرق الصوفية في الجزائر

سيكون تركيزنا على الفترة العثمانية في الجزائر باعتبار أنها مرحلة مهمة، حيث عرفت تطور وازدهار الطرق الصوفية، ويرجع ذلك لتوفر البيئة الخصبة ووجود عدة عوامل ساهمت في

انتشار هذه الطرق، مثل وجود أعلام صوفية في الجزائر وكذا هجرة الكثير من الصوفية إلى الجزائر بعد سقوط الأندلس، ناهيك عن قيام الدولة العثمانية على أفكار ومعتقدات الصوفية، ولعل أهم الطرق هي:

✓ الطريقة القادرية:

مؤسسها "عبد القادر بن موسى الجيلاني" الذي ولد ببغداد سنة 1078م، عرف بالاستقامة والأخلاق النبيلة، وضرب به المثل بين أقرانه في التربية والزهد والعلم، وكان من الوعاظ وله أسلوبه الخاص في الإرشاد والنصح، وكان الشيخ "عبد القادر" عالما متبصرا يتكلم في ثلاثة عشر علما من علوم اللغة والشريعة حيث كان الطلاب يقرؤون عليه في مدرسته دروسا في التفسير والحديث والمذاهب والأصول واللغة، وكان يقرأ القرآن بالقراءات وكان يفتي على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل. (عبد الجليل ساقني، 2019، ص ص 156-157)

وله عبد القادر الجيلاني مصنفات هامة في قضايا الدين والتصوف منها "جلاء المخاطر في الظاهر والباطن"، "الفتح الرباني" و"الفيض الرحماني"، "سر الأسرار فيما يحتاج إليه الأبرار" والعديد من المصنفات الأخرى.

وقد وضع شيخ الطريقة "عبد القادر الجيلاني" أسسا قويمية ومبادئ سديدة لطريقته التي تتمثل في الدعوة إلى الإيمان وإتباع الله وسنة رسوله والحفاظ على أركان الإسلام والتمسك بالفضائل والابتعاد عن الرذائل فقال في هذا الصدد ولأهل المجاهدة وأولي العزم عشر خصال جربوها لأنفسهم فإذا أقاموها وأحكموها بإذن الله تعالى وصلوا إلى المنازل الشريفة. (المرجع نفسه، ص ص 159-160)

- ألا يحلف بالله صادقا ولا كاذبا عامدا ولا ساهيا

- أن يجتنب الكذب هازلا وجادا

- أن يجتنب أن يلعن أحدا من الخلق

- أن يجتنب أن يدعو على أحد من الخلق

- ألا يكفر أحدا من أهل القبلة

- أن يجتنب النظر إلى شيء من المعاصي ظاهرا وباطنا

- أن يجتنب احتقار أي مخلوق.

- أن يقطع طمعه من الأدميين.

- أن يكون متواضعا لله لإعلاء منزلته بين الخلق.
- الصوفي أعماله هي التي تدل على الطريق وليست الأقوال وحدها.
- أما سلامة الصدور فتكون من كل غل وحسد وغش ورياء وطلب رئاسة وكثرة حرص على الدنيا وغيرها من الآفات المهلكة للنفس.
- أما سخاء اليد فهو العطاء والكرم والإيثار بما فتح الله به على العبد من أمور الدنيا إن قل أو كثر.

وقد دخلت الطريق القادرية إلى الجزائر عن الشيخ "شعيب بومدين" الذي نقلها خلال زيارته للمشرق الإسلامي إلى مدينة بجاية، ثم انتشرت في الغرب الجزائري والجنوب الغربي من الصحراء وباقي مناطق الجزائر، وفروعها كانت موجودة في مختلف المدن وله زوايا وأضرحة ومساجد في الجزائر وتلمسان وغيرها، كما كان لها أوقاف كثيرة، كانت ترسل مع الحجاج إلى الزاوية الأم في بغداد وتمثل القادرية أساس ومنطلق كل الطرق الصوفية في الجزائر، فالمدينية نسبة إلى "أبي مدين شعيب بن الحسين" تفرعت عن القادرية، وتفرعت عن المدينية الطريقة الشاذلية، وعن الشاذلية تفرعت طرق كثيرة كالدراوية والجزولية واليوسيفية والعيساوية والشيخية والطيبية والحنصالية. (محمد سي يوسف، 1990، ص194)

✓ الطريقة الرحمانية:

تنسب إلى مؤسسها "محمد بن عبد الرحمان الأزهرى الجرجري" من قرية آيت إسماعيل بضواحي خراطة، حج إلى البقاع المقدسة ومكث في الأزهر الشريف يأخذ العلم عن أساتذته مثل "سالم الحفناوي"، "عامر الفحالوي"، "حسن الجدي" و"الشيخ العمروسي"، ثم رجع إلى الجزائر سنة 1770م ونشر تعاليم طريقته الخلوتية التي أخذها من مصر والهند والسودان، وقد امتدت شهرته ومبادئ طريقته إلى العاصمة التي انتقل إليها وألقى بها دروسا في منطقة الحامة، ومنح الإجازة للعديد من تلاميذه على غرار "بلقاسم بن محمد المعاتقي" الذي أصبح مقدم الطريقة، والشيخ "العابد بن الأعلى الشرشالي"، ولكن نشاطه هذا ضابق الإدارة العثمانية. (زروق جيجيك، 2001، ص 96)

توفي شيخ الطريقة سنة 1793م، وقبل وفاته أعطى المشعل لخليفته حيث عين على رأس الزاوية "علي بن عيسى المغربي" وأوصى أتباعه بالطاعة والولاء له، ليبقى التلميذ "بن عيسى" يدير الزاوية بكفاءة وإخلاص حتى 1835م، وقد بني على ضريحه مسجدا وقبة، ومن أبرز ما كتب في

الطريقة الرحمانية أرجوزة "محمد بن عزوز" في أصول الطريقة "رسالة المرید" وكذا "فاكهة الحلقوم في نبذة قليلة في أحوال القوم" للشيخ "علي الطولقي". (المرجع نفسه، ص 81)

وتقوم الطريقة على الحث بالعلم والعمل، الأخذ بالتقوى وما يقربك من المولى، وأنها طلب الترقى إلى التحلي بأوصاف الكمال وصفاء الباطن، والتخلص من قبيح الأفعال والتخلي عن الأوصاف الذميمة، وتهذيب النفوس وتطهيرها من الرذائل وتحليها بأحسن الفضائل من أجل التقرب من الله تعالى، وبذلك كان مفهوم التخلية والتحليه من أهم ما تقوم عليه الطريقة، وعلى الإنسان أن يسعى في تخليص نفسه من رق الهوى وتزكيتها بالتخلية من أوصافها الذميمة والتخلية بأوصافها الحميدة، وينتقل من غفلته عن مولاه إلى الغنى به عن مشاهدة ما سواه، ويجب تتبع أخلاق النبي والعمل بها، فكان "محمد بن عبد الرحمان الأزهري" يقول إذا سئل عن آداب الطريقة ليس لها من آداب ولا أوامر ولا نواه غير آداب الشريعة وأوامرها ونواهيها. (توفيق مزارى عبد الصمد، 2012، ص ص243-244)

أما سلسلة الطريقة فيجعلونها من المقدم إلى شيخه إلى الأزهري إلى الحفناوي الخلوتي، إلى بقية السلسلة التي تصل إلى الملك جبريل عن طريق الإمام علي ومحمد ويبدأ هكذا: "لقن رب العزة جبريل، وهو لقن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو لقن علي بن أبي طالب، إلى أن تصل إلى الحفناوي الخلوتي الذي لقن محمد بن عبد الرحمن الأزهري وتسمى أيضا الإجازة وهي تلتقي مع سلسلة الشاذلية في عدة شيوخ. (أبو القاسم سعد الله، 2005، ص 175)

✓ الطريقة التيجانية:

أسسها "أبو العباس الشيخ أحمد التجاني" الذي ولد سنة 1737م، ذهب الشيخ أحمد التجاني إلى الحج والزيارة النبوية وعند رجوعه مر بتونس فأقام بها مدة والتقى بمجموعة من المشايخ مثل "الشيخ "الطيب الوزاني" والشيخ "أحمد الصقلي"، وأخذ الطريقة القادرية على يد من كان يلقن في ذلك الوقت، ثم تركها بعد ذلك، ثم أخذ الطريقة الناصرية عن الولي "محمد بن عبد الله التزاني" ثم تركها، ثم أخذ طريق "أحمد الحبيب السلجماني الصديقي"، وبعدها ارتحل إلى تلمسان ومنها إلى الحج فمر بزواوة حيث أخذ الطريقة الخلواتية عن "محمد بن عبد الرحمان الأزهري"، وتوقف في تونس ومصر، وبعد حوالي سنتين من مكوثه في المشرق عاد التجاني إلى تلمسان، فكان يتردد بينها وبين فاس، وقد رحب به السلطان سليمان وأحضره مجسمه وأعطاه دارا كبيرة وراتبا، وظل بفاس إلى أن أدركته الوفاة صبيحة سنة 1815م. (زيزاح سعيدة، 2014، ص ص73-74)

وقد انتشرت الطريقة التيجانية منذ ظهورها بشكل واسع في الجزائر لتنتشر بإفريقيا السمراء، وقد رأى الناس أنها طريقة خالية من الخرافات والبدع حيث أن أتباعها نشروا الاسلام في غرب

ووسط إفريقيا وجذبوا الكثيرين من الشعب السوداني إلى طريقتهم بالإرشاد والتعليم ومصاهرتهم، وقد أسس أتباع هذه الطريقة زوايا في أوروبا وآسيا وحتى أمريكا، ويظهر هذا الانتشار من خلال العدد الهائل لمريدي وأتباع التيجانية من مختلف الشرائح والمستويات الثقافية والاجتماعية، متبعين بذلك ما جاء به شيخهم ومفتدين به.

للطريقة التيجانية وظائف هامة تتمثل في نشر الإسلام وترسيخ القيم الدينية، وكذا نشر تعاليمها ومبادئها لتشمل وظائفها الاجتماعية والتربوية في المجتمع، من اصلاح بين ذات البين والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، واستقبال الوافدين والزوار إلى الزوايا لتكون مأوى لمن لا مأوى له، كما أن الزوايا تكفلت بتعليم وتدريب القرآن واللغة العربية للتلاميذ الذين لم يسعفهم الحظ للالتحاق بالمدارس النظامية، بالإضافة إلى إحياء الزوايا للمناسبات الدينية والمناسبات الخاصة بالطريقة. (المرجع نفسه، ص 80)

3.5- رجال التصوف والمرابطين

إن اهتمام بعض الصوفية بالباطن يعد انحرافا عن الطريق الحقيقي للتصوف فيتحول العلم إلى خرافة والولاية إلى شعوذة، وهذا ما حدث في عصر ساد فيه التخلف ونامت أعين الرقباء، فقد ظهر أشخاص يدعون دعوات ضالة وطغوا فعثوا في الأرض الفساد، وبرزت طائفة "المرابطية" التي حكم عليها بعض الصوفية بالدجل والزندقة والسحر، مما دفع الكثير من الأوروبيين بنعت علماء الجزائر بالسحرة والمشعوذين، أمثال "قاسم بن أم هاني" الذي اتخذ طريق الشعوذة ليرد ما كان لأسلافه من زكوات وأعشار، كذلك ظهر "محمد الحاج" من قسنطينة الذي اتخذ زوايا ورعايا وأصبح يولي ويعزل، ويتكلم بالفحش ويتعاطى الحشيش، وصار أتباعه يحلفون برأسه. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص 483)

كذلك ظهر في عنابة "طراد" و"جماعة الشابية" وقد شاع عنه أخذ النساء المحصنات، ومن أتباعه "أبو محمد عبد الكافي" و"الساسبي البونوي"، هذا الأخير الذي انتصب للتدريس في "جامع الجمعة" وصار عند أهل عنابة رئيس علم الظاهر والباطن، وقد زعم أنه شرب من كأس الصفوة وجلس على بساط القرب، وقال عرج بي إلى السماء وكشف الحجاب، ومن تلمسان برز بعض المتصوفين الذين خلطوا بين العلم والدروشة منهم "موسى اللالتي" "ابن سليمان" و"بوجلال" وغيرهم من المرابطية. (المرجع نفسه، ص 485)

وللإشارة فقد كان معظم المرابطية في العهد العثماني يتبعون الطريقة الشاذلية، وكان أتباعها يدرسون خارج البلاد لطلب العلم، مما جعل الكثير من الطرق الصوفية تنتقل إلى الجزائر مثل الطريقة النقشبندية والطريقة البكداشية... إلخ، وكان "عبد الكريم الفكون" من الذين انتقدوا الصوفية

المرابطية في عصره نتيجة ابتعادها عن المنهج والطريق الصحيح، ولعل أشهر المرابطية في تلك الحقبة نجد "الملياني، الخروبي، الأخضرى، أبهلول، الأزهرى، التيجاني، الغريسي، الطيبية والدرقاوي".

وفي الأخير يجب أن نلتفت إلى ما قاله علماء السلف والخلف عن البدع والضلالات التي جاءت بها الطرق الصوفية وتشمل أفعال وأقوال، بل وحتى عقائد لا يوجد لها أساس شرعي وتتعارض بشكل واضح مع التعاليم الإسلامية كالتعبد بالأماكن والأحجار والاعتقاد أنها مباركة، أيضا الدعاء والتوسل بالميت وطلب الشفاعة منه وهذا يتعارض مع التوحيد، كذلك القراءات والأذكار الخاصة بكل طريقة قبل وبعد الصلاة، الذبح لغير الله والحلف بشيخ الطريقة وتقديسه...إلخ.

وفي هذا الصدد اتخذ "الامام عبد الحميد بن باديس" موقف سلبي من هذه البدع خاصة علم الكلام حيث قال "أدلة العقائد كلها مبسوسة في القرآن العظيم بغاية البيان ونهاية التيسير...، ولن يجد العامي الأدلة لعقائده إلا في كتاب الله، فهو الذي يجب على أهل العلم في تعليم العقائد للمسلمين إليه، أما الاعراض عن أدلة القرآن والذهاب مع أدلة المتكلمين فإنه من الهجر لكتاب الله وتصعب طريقة العلم على عباده، وقد كان ما نراه اليوم في عامة المسلمين من الجهل بعقائد الإسلام وحقائقه". (نور الدين بولحية، 2016، ص 62)

فلا شك أن الطرق الصوفية المعاصرة فيها كثير من الانحرافات، كالغلو في المشايخ والصالحين، وتقديم العبادة للأضرحة والمشاهد، دعاء واستغاثة ونذرا، ذبحا، وطوافا وهذا من الشرك، ومن تأمل ما يقوله بعض الصوفية المنتسبين إلى فرق مشهورة في مناسباتهم واحتفالاتهم عرف مدى الخطورة والانحراف الذي وصلوا إليه، حيث يغنون وينشدون قائلين: (يا رسول الله غوثا ومدد، عليك المعتمد فرج كربنا، ما رآك الكرب إلا وذهب) وغير ذلك من الأمور التي لا يجوز أن تطلب إلا من الله، فهو الذي يغيث، وهو الذي يفرج الكرب، ويجب دعوة المضطر، كما قال تعالى: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون) (النمل:62)

وقال تعالى: (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) [يونس:106]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمة العباس: (يا عباس أنت عمي، وإني لا أغني عنك من الله شيئا، ولكن سل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة" رواه الامام أحمد.

(الطرق الصوفية المعاصرة www.islamweb.net/ar/fatwa/8500/)

ولا شك أن سؤال غير الله وطلب تفريج الكروب منه وستر العيوب وشفاء الأمراض والأسقام ونحو ذلك مما يفعله كثير من الصوفية شرك أكبر، مناقض لأصل التوحيد وعظمته، ومصادم

للفطرة السوية السليمة، وجنوح بها إلى الوثنية والتعلق بغير الله، إضافة إلى ما يتبناه كثير من الصوفية من العقائد الباطلة كالحلول والاتحاد، وأنهم أهل الحقيقة والباطن، وغيرهم أهل الشريعة والظاهر... إلخ، مع وقوعهم في البدع والمحدثات المخالفة لمنهاج النبوة وإصرارهم عليها، وتعلقهم بالأحاديث الواهية والمكذوبة والموضوعة على النبي صلى الله عليه وسلم، واعتمادهم على الرؤى والمنامات اعتمادا مبالغا فيه يصل إلى حد أن البعض منهم يأخذ منهما الأمر والنهي والتكاليف، مخالفين إجماع علماء الأمة على عدم جواز أخذ التكاليف منها. (عبد الرحمان ابن الجوزي، حققه (أحمد بن عثمان المزيد، 2001، ص ص 918-920)

وقد حذر الكثير من العلماء من اتباع طرق الصوفية وألفوا كتب ورسالات على غرار "كتاب تلبيس إبليس" "للإمام ابن الجوزي"، و"كتاب هذه هي الصوفية" "للشيخ عبد الرحمن الوكيل" من علماء الأزهر، و"كتاب الصوفية في الكتاب والسنة" "للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق".

ثالثًا

التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني

ثالثًا: التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني



تمهيد

"لقد بحثت قصداً بين السكان في مدن الجزائر عن شخص واحد يجهد القراءة والكتابة غير أنني لم أعثر عليه، في حين أنني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب الجزائري"... (أبو العيد دودو، 1975، ص 13)، ... عبارات قالها الرحالة والباحث الألماني "Georg Wilhelm Schember" شهادة منه عند زيارته الجزائر في ديسمبر من سنة 1831 حيث استقر بها مدة عشرة أشهر قبل عودته إلى ألمانيا.

وهذا ما تؤكد المصادر التاريخية، فنسبة الأمية في الجزائر كانت صفر حتى دخول المستعمر الفرنسي الذي زرع الجهل وحال دون تعليم أبناء الشعب الجزائري، والحصيلة أكثر من عشرة ملايين أمي عند انتزاع الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية.

فقد كان التعليم في الجزائر مرتبطاً بالدين الإسلامي حاله حال جميع البلدان الإسلامية، حيث يتم تدريس القرآن الكريم للتلاميذ في الكتاتيب والمدارس القرآنية والزوايا، ويعتمد في المقام الأول على حفظ القرآن الكريم وتلاوته، فيقرأ الأطفال ويكتبون آيات القرآن فقط، وأول ما يتعلمه الطفل هي "فاتحة الكتاب" وهي أول سورة من القرآن الكريم خلاصة عقيدة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" (صلى الله عليه وسلم) ثم يبدأ بالسور القصيرة من آخر المصحف، ويعرف المستوى التعليمي للطفل من السورة التي يحفظها، فإذا وصل إلى سورة البقرة فقد انتهى من قراءة الكتاب واستحق لقب "طالب" والتسمية المحترمة "سي" على سبيل المثال يصبح "سي فيصل"، ويصبح لديه خياران، الأول هو أن يصير طالب في المدينة مثل

قسنطينة أو تلمسان، والخيار الثاني هو مواصلة الدراسة الثانوية أو العليا في الجزائر أو الجامعات في تونس أو القاهرة لتعميق معرفته كالكرويين والزيتونة، ويتضمن برنامج التدريس في هاتين الجامعتين بشكل أساسي القرآن الكريم والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه وقواعد اللغة العربية، بالإضافة إلى تعليم التقاليد والمبادئ وبعض أساسيات العلوم الأخرى، لكنهم قبل كل شيء يريدون تعريف الأطفال بنص القرآن ومختلف تنويعات ودروس هذا الكتاب المقدس، كما أن التعليم يشمل تدريس اللغة والأدب العربي والنحو والفقه، وأحياناً علم الحساب والطب وغيرها من العلوم العقلية.

1. رجال التعليم:

خلال فترة التواجد العثماني في الجزائر برز عدد كبير من العلماء والمدرسين، حملوا على عاتقهم مسؤولية نشر العلم بين أبناء الشعب الجزائري أمثال "سعيد قدورة"، "أحمد المقرري"، "عبد الكريم الفكون" و"عمر الوازن" وغيرهم... إلخ، فكان لهم الفضل في أن ورثت الجزائر رصيذاً ثقافياً وعلمياً زاهراً وذاخراً بالمؤلفات العلمية والفنية في مختلف الميادين الثقافية، الدينية، الاجتماعية، السياسية والاقتصادية، ولعل أبرز هؤلاء العلماء نذكر منهم:

✓ سعيد قدورة:

هو سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمان الشهير بسعيد قدورة الجزائري، ولد بتونس من أبوين جزائريين سنة 979هـ/1572م، تتلمذ على يد "محمد بن أبي القاسم المظماطي"، تولى إمامة جامع البلاط وكان إماماً وخطيب الجامع الكبير، ثم أصبح مفتي المالكية ووكيل أوقاف الجامع الكبير، وكانت قيمته كعالم كبيرة إلى درجة أن الباشوات كانوا يقفون له اجلالاً ويقبلون يده، بل ويقدمونه على مفتي الحنفية، وقد بدت مساهمته العلمية باللسان والتعليم أكثر منه من التأليف والكتابة، وأهم مؤلفاته "شرح خطبة مختصر خليل في الفقه"، "نوازل تلمسانية"، "شرح السلم المرونق في علم المنطق" وغيرها، توفي الشيخ سنة 1066هـ/1656. (كريمة مبدوعة، 2019، ص ص 17-19)

✓ أحمد المقرري:

أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد القرشي التلمساني المالكي، المعروف بأحمد المقرري نسبة إلى جده "محمد المقرري"، ولد على أرجح الأقوال سنة 933هـ/1527م، تتلمذ على يد عمه "سعيد المقرري" وعلماء آخرين، حيث حفظ القرآن الكريم ودرس علوم الشريعة من فقه وحديث وتفسير، وعلوم اللغة والآداب والبلاغة،

كان شغوفاً لمعرفة العلوم باحثاً عن منابعها، غير راضي بما تلقاه، لذلك سلك درب العلماء في الهجرة مبكراً فقصداً غرباً مدينتي فاس ومراكش، وشرقاً مدينة القاهرة، وقد زار بلاد الشام ومكة والمدينة المنورة، اشتغل بالنشاط العلمي مدرسا ومحدثا بالقاهرة فتوافد العلماء والطلاب يتدارسون علمه الوافر ويستمعون إليه، وعن وفاته فيرجح أنه توفي بمصر سنة 1632/هـ1041م. (سفيان صغيري، 2021، ص ص 525-528)

يعد المقري موسوعة في العلوم والفنون، فهو الأديب وهو المؤرخ، وهو الفقيه المتكلم، وله مشاركة وضلوع في مختلف العلوم النقلية، كعلوم القرآن والتفسير، الحديث وشرحه، التوحيد، والفقه، كان غزير التأليف، ولا تزال بعض مؤلفاته شاهداً على تفوقه ونبوغه العلمي، وقد زادت مؤلفاته عن الثلاثين أهمها الموسوعة الأندلسية المسماة "نفح الطيب"، "روضة الآس العاطرة الأنفاس"، "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"، "فتح المتعال في وصف النعال" وغيرها.

✓ علي الأنصاري السجلماسي:

هو علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري، أحد العلماء الذين استوطنوا الجزائر خلال القرن الحادي عشر للهجرة، حيث بدأ تدريس أصول الدين، البيان، المنطق والنحو، والحديث والفقه، والسير والتصوف، معتمداً في ذلك على مجموعة من الكتب للمتقدمين من العلماء أمثال "السبكي"، "البخاري"، "القاضي عياض" وغيرهم، قال عنه "المحبي" "أنه آية باهرة في جميع العلوم"، وإلى جانب التدريس ألف "الشيخ الأنصاري" مجموعة من الكتب والمنظومات وبعض الشروحات نذكر منها "عقد الجواهر في نظم النظائر"، "السيرة الصغرى"، "تأليف في رجال البخاري"، "شرح التحفة لابن عاصم"...إلخ. توفي الأنصاري سنة 1648/هـ1057م. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص ص 370-375)

✓ عمر الوزان:

عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني اشتهر باسم الوزان، رفض وظيفة القضاء ليتفرغ للتدريس، وقد أعطى تلميذه "عبد الكريم الفكون" صورة عنه عندما ذكره في كتابه "منشور الهداية"، حيث قال عنه "إنه شيخ الزمان، وياقوتة العصر والأوان، العالم العارف..."، "وأخبر أنه كان لا يجارى في علوم الفقه والأصول والنحو والحديث، وكانت له اليد في علم التصوف، فكانت تشد إليه الرحال لطلب العلم ويفتى بأقواله وأفعاله"، ولا غرابة أن تنقل ذلك

عائلة الفكون فهو شيخ جدهم، توفي الوزان سنة 965هـ/1558م، من مؤلفاته "البضاعة المزجاة"، "الرد على الشبوية المرابط عرفة القيرواني وصحبه"... إلخ. (المرجع نفسه، ص 379-383).

بالإضافة إلى مدرسين ومشايخ آخرون ساهموا في نشر مختلف العلوم بين أفراد الشعب، وكان لهم الفضل الكبير في تعليم الجزائريين ونشر العلوم حتى غطت المدينة والجبل، بل حتى الصحاري أمثال "عبد الكريم الفكون"، "أحمد بن عمار"، "يحيى بن سليمان الأوراسي"، "محمد بن أحمد أبو راس الناصري"... وغيرهم.

2. طرق التعليم:

أدركت الأمم أن التعليم هو أساس الازدهار والتقدم، فكانوا حريصين جدا على نشر العلوم بين أفراد المجتمع، والجزائر من بين هذه الدول التي اهتمت بتعليم أبنائها خاصة خلال الحقبة العثمانية، وما قاله الباحث الألماني "جورج فيلهلم شيمبر" خير دليل على ذلك، حيث انتشرت الكتاتيب والمدارس والزوايا في الأرياف كما في المدن، وفي الصحراء كما في التل، وقد انقسم التعليم إلى أطوار ثلاثة هي:

* الطور الأول (الابتدائي):

كان الطفل إذا بلغ سن الخامسة أو السادسة يلتحق بالكتاتيب ليتعلم القراءة والكتابة ومبادئ اللغة، ويحفظ القرآن، فكل تلميذ يحمل لوحة للكتابة عليها، وعندما يخطئ المتعلم يأخذ عقابه أسفل الرجلين، أما عندما يحسن ويتقن ويحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب فيحتفل به في كل أرجاء المدينة، وكان هذا النظام التربوي غير مكلف. (ويليام شالر، 1982، ترجمة إسماعيل العربي، ص 82)

* الطور الثاني (الثانوي):

تشرف عليه المدارس والمساجد في الوسط الحضري أما في الأرياف فكانت الزوايا هي المسؤولة عن تعليم الأطفال والشباب، وكان التعليم مجانا، حيث يقوم بوظيفته المدرس المعين من طرف الباي ويتلقى أجرته من الأوقاف، وكان التعليم الثانوي يضم ما بين 2 أو 3 آلاف تلميذ يزاولون دراستهم في كل مقاطعة، أما عدد المدارس فكان مختلفا من مدينة إلى أخرى ويصل في بعض المدن كمدينة تلمسان إلى 5 مدارس وينخفض في بعض المدن الأخرى، وفيها يتلقى الطالب مبادئ الفقه واللغة والنحو والصرف والفرائض والحساب ونلاحظ هنا أن التعليم كان مرتبطا بالحركة الدينية. (عبد الصمد حصاد وآخرون، 2022، ص 103)

* الطور الثالث (العالي):

هو بمثابة تعليم عالي خصص للعلوم الدينية كالتوحيد والفقه والتفسير والحديث... وغيرها، حيث قال "أحمد توفيق المدني" في هذا الشأن "أما التعليم العالي فكان في المساجد والزوايا يتولاه شيوخ من المشهود لهم بالدراية والنزاهة"، وهناك من لاحظ أنه رغم افتقار الجزائر إلى المعاهد العليا بحجم القرويين والأزهر والزيتونة، إلا أن الدروس التي كانت تلقى في بعض جوامعها تضاهي دروس جامع الأمويين بدمشق والحرمين الشريفين، وكان المدرس في التعليم العالي يواجه تحديات كثيرة. (المرجع نفسه، ص 103)

3. المناهج التعليمية:

يمكن أن نقر أن مسألة الاهتمام بالتعليم من قبل العثمانيين كانت غائبة كون أغلب العثمانيين خاصة جنود الانكشارية وبعض رجال الدولة كانوا عرابا أو من دون أطفال، لذلك لم يتحمسوا لقضية التعليم كما أن أغلبهم حديثي العهد بالإسلام ناهيك عن سوء الأوضاع السياسية والمواجهات العسكرية ضد المسيحيين الإسبان، فمهما ذكرنا من إهمال العثمانيين للتعليم وسوء الأوضاع الاقتصادية و السياسية، إلا أن الأسر الجزائرية لم تفرط في تعليم أبنائها وتحملت أعباءه، فرغم الفقر والعوز إلا أنهم حرصوا على تعليم وتحفيظ أبنائهم للقرآن الذي كان أساس التعليم والدين. (زهية دباب ووردة برويس، 2021، ص 182)

ففي التعليم الابتدائي كان التلاميذ يذهبون إلى الكتاب كل يوم صباحا ومساء لمدة ساعتين، فعادة تكون الجلسة الصباحية الأهم، فالتلميذ يغدو فيأخذ لوحته ويستظهر درسه بنفسه أو بمعاونة زميله، فإذا وثق من حفظه عرضه على الشيخ، الذي إذا وثق أن التلميذ قد تمكن من الحفظ أذن له بمحوه، وقوم الأطفال بمحو ألواحهم ويعودوا للجلوس بالقرب من المؤدب، ويكتبون آخر الآية الموجودة في درس الأمس كبداية للدرس الجديد، ثم يستمعون لربع الحزب الجديد أو نصفه فيواصل المؤدب الإملاء تلقائيا إلى أن يشير بالتوقف، عندما ينتهي التلميذ من مرحلة الإملاء يتراجع ويأخذ مكانه في الحلقة ويشرع في قراءة الدرس الجديد، فإذا انتهى الجميع من الكتابة تحلقوا حول المؤدب ليعلن نهاية الدرس. (أبو القاسم سعد الله، ص 339-341)

أما جلسة المساء فهي في الغالب تركز على قراءة الدرس التالي استعدادا لعرضه ومحوه في صباح اليوم التالي، وقد جرت العادة أن يجمع المؤدب في كل يوم بعد صلاة المغرب والانتهاة من قراءة الحزب اليومي لطلبته ويقراً لهم الخمس الأخيرة من القرآن، ثم يقرأ لهم بعض المتون الفقهية.

أما برامج التعليم الثانوي فتخضع لإرادة المدرس (الشيخ) الذي يقوم بتدريس الطلبة، فيقوم الطلبة بتكوين حلقة غالبا على شكل نصف دائرة، فيتعلق الطلبة حول شيخهم، الذي يلقي عليهم الدرس إلقاء على الطريقة التقليدية، وتكون متبوعة بمجموعة من الأسئلة يطرحها الطلبة بعد انتهاء الدرس، وكان بعض المدرسين يلقون دروسا فصلية، أي يعدها في الصيف ويلقيها في الشتاء، والبعض يلقي دروسه 3 مرات في اليوم في الصباح وبعد الظهر وبعد العصر. (عبد الصمد حصاد وآخرون، 2022، ص 119)

ومع مرور الوقت تتشكل علاقة طيبة بين الطالب والمدرس، ويرجع ذلك لحسن السيرة والسمعة الطيبة والورع والكفاءة التي يتميز بها كلا الطرفين، وللطالب حرية الاستمرار مع المدرس أو الانتقال إلى مدرس آخر أو إلى مؤسسة أخرى، كما تغير الرابطة القوية بين الطالب والأستاذ مجرى حياة الطالب أو تؤثر على مستقبله فكثيرا من الطلبة من يغير الوجهة بعد وفاة أو هجرة المدرس.

وبالنسبة لبرامج التعليم العالي فأهم ما يميزه هو تنقل الطلبة من أجل الدراسة وتحصيل مختلف العلوم من منطقة لأخرى، ومن بلد لآخر يجوب أرجاء الأرض شرقا وغربا في سبيل تحصيل العلم والبحث عن المشايخ والمدرسين لتوسيع قدراته المعرفية.

وكان بعض الطلبة يلزم العلماء والشيوخ في المعاهد والمراكز الثقافية المنتشرة في العالم الإسلامي، وهم يعكفون خلال هذه الفترة على تحصيل العلوم وتدوين الملاحظات والاحتكاك بالطلبة الآخرين، وفي الأخير يتحصل على إجازة تبين كفاءته التي تخوله لتدريس العلم الذي تلقاه وأتقنه عن مشايخه، وحتى يحظى الطالب بثقة أهله لابد له من بيان يثبت أنه درس على يد علماء أجلاء وأنه أتقن أصنافا من العلوم واغترف من الكتب وحفظ المتون وهو أن يجيز الشيخ الطالب، فيزاول تعليم الطلبة من بلده عند عودته، ولعل أكبر عائق يصادف بعض الطلبة هو الفقر وعدم القدرة على السفر وتأمين احتياجاته، فتكبح مواهبه ويتوقف عن البحث وطلب العلم عند مستوى معين. (مولاي بلحميسي، 1981، ص-ص 33-34)

وللتذكير فالطالب المجاز من طرف شيوخه تقدم له إجازة بختم الشيخ وما يقابلها اليوم من شهادات جامعية أو شهادة الكفاءة التي تؤهل الطالب لتدريس ذلك العلم المجاز فيه.

4. مستوى وطبيعة المتعلمين

كان التعليم أهم سمة يميز الوضع الثقافي في الجزائر خلال تلك الحقبة من الزمن، حيث كان الطفل إذا بلغ خمس أو ست سنوات يلتحق بالكتاب ليتعلم الكتابة ويحفظ ما تيسر من القرآن،

وكذا يتعلم الحساب وبعض أساسيات الدين الإسلامي، وقد كانت كل أسرة تسعى لتعليم أبنائها فنتقيم لهم احتفالات بمناسبة حفظ القرآن واستمر ذلك حتى الماضي القريب، فيدعون إليها الأهل والجيران والأصدقاء صغيرهم قبل الكبير حتى يقتدوا بهذا الحافظ لكتاب الله، فيلبس الطفل أجمل الملابس معبرا على فرحة النجاح والوصول إلى أحد أسمى الأهداف التي يرجوها كل أقرانه بل كل مسلم، ويكون من خلال ذلك اعلان صريح بانتقال الطالب إلى مرحلة جديدة من حياته ليختار مواصلة طلب العلم والالتحاق بالثانوية أو التوجه إلى التجارة والحياة العملية، وقد يختار أن يصبح مدرسا (مؤدبا) يعلم الأطفال القرآن الكريم، والعادة أن أبناء الأغنياء هم القادرون على مواصلة التعليم لارتفاع التكاليف وتنقلهم إلى المدن للمكوث بها.

وقد كانت مصادر التعليم الثانوي من الأوقاف قليلة إلا أنها غير متاحة للجميع، ومع ازدياد عدد الطلبة أصبح المسؤولون عن الأوقاف يحددون العدد بحسب قدرة استيعاب المؤسسة، ومن ناحية أخرى ظل المعلم والمتعلم موضع تقدير الجميع، فكان حب العلم والمعرفة جزء من العبادة.

أما بالنسبة للتعليم العالي فقد رأينا أنه كان في المساجد والزوايا حيث يتولى شيوخ من المشهود لهم بالدراية والنزاهة تدريس الفقه والحديث والتفسير...، وهذا لافتقار الجزائر إلى المعاهد العليا في حجم القرويين والأزهر والزيتونة، حيث كان بعض الطلبة ينتقلون إلى البلدان الإسلامية غالبا باحثين على العلم والمعرفة.

أما المرأة الجزائرية فتقريبا حالها حال بقية النساء في المجتمعات الإسلامية عانت من الأمية وقلة التعليم، فبالرغم من أن التعليم عموما في تلك الحقبة لم يكن من أجل الوصول إلى المراتب الأدبية والاجتماعية، بل كان غرضه التفقه في الدين ومعرفة الفروض إلا أن ذهاب المرأة إلى المدارس والزوايا لم يكن بالأمر المقبول لدى الآباء والأمهات.

وقد خلصت الدراسة التي قامت بها الباحثة "ليلي خيراني" أنه بالرغم من ضآلة مستوى تعليم المرأة في المدارس إلا أن هناك بعض النساء قد تمكنت من تلقي تعليما متواضعا مكنهن من التفقه في الدين، خاصة الفئة ميسورة الحال. (ليلي خيراني، 2013، ص 291)

وقد أقر الشيخ "البشير الإبراهيمي" بأن المجتمع الجزائري كان زاهدا في تعليم المرأة ولم يكن يسمح للنساء بالخروج للتعلم، ولم تأخذ المرأة نصيبها من التعليم ودخول المدرسة والثانوية والجامعة، بل لم تكن العائلات تسمح حتى بمناقشة مسألة تعليم البنات، والبعض من الآباء اعتبر ذلك من الكبائر. (آمال معوشي، 2023، ص 469)

5. المراكز التعليمية

خلال العهد العثماني كان حال التعليم في الجزائر لا يختلف كثير عن حاله في جميع البلدان الإسلامية، حيث ظل مرتبطا ارتباطا وثيقا بالدين، ويتم تدريسه في المدارس القرآنية، الكتاتيب والزوايا، وكان هذا هو الحال بالنسبة للتعليم الابتدائي حتى منتصف القرن التاسع عشر، وللإشارة فإن ظهور المؤسسات الدينية في الجزائر قد بدأ منذ القرن الأول الهجري عند وصول الفاتحين المسلمين الذين قاموا بتشييد المساجد أولا ثم ظهرت بالتدرج باقي المؤسسات.

1.5. المساجد:

كانت ولا تزال الوظائف الأساسية للمسجد تتمثل في قيام المسلمين بأداء الصلوات، تحفيظ القرآن وتعليم الناس الفرائض وبعض العلوم الدينية من خلاللقاء الخطب والدروس، وتعتبر المساجد جزءا من المظاهر والهياكل المعمارية التي لا يمكن أن تخلو منها أي مدينة إسلامية، وقد لعبت المساجد دورا كبيرا في حياة المجتمع الجزائري خلال الحكم العثماني.

والكثير من المساجد المنتشرة في الجزائر أسسها الأمراء والحكام بحكم الوظيفة وتسهيل أداء الشعائر الدينية مثل جامعي "ابن مروان وصالح باي" بعنابة و"جامع الباي" بقسنطينة، كذلك "الجامع الكبير" بالعاصمة. (يحيى بوعزيز، 1980، ص 43)

ويعد "جامع الباشا" بوهران الذي أسس سنة 1792م من طرف الباشا "حسان داي الجزائر"، المسجد العثماني الوحيد الذي سلم من أيادي المستعمر الفرنسي التخريبية. (مبروك مهيريس، 2009، ص 38)

إلا أن الفضل في تأسيس بعض المساجد يرجع إلى الجمعيات الخيرية خاصة المساجد التي أقيمت في المناطق الريفية والمنعزلة، وهذا بهدف تقريب المسجد من المواطنين وتعليمهم الفرائض وأمور الدين، كذلك أقيمت بعض المساجد من أموال الأثرياء كان الغرض من إقامتها إما طلب الثواب والآخرة، وإما طلب الشهرة والثناء، حيث يظهر ذلك من خلال تسمية المسجد حيث تسمى بعض المساجد بتسمية الشخص الذي أقامه وبناه.

بالإضافة إلى كون المسجد مكان لتأدية العبادة فقد كان مقرا للقضاء وفض النزاعات وحل مشاكل الناس.

2.5. الكتاتيب

الكتاب أو المسيد، وهو مصطلح لا يزال يتداول إلى يومنا هذا خاصة بالعاصمة وضواحيها، وقد أسست آنذاك لتحفيظ القرآن وتعليم الأطفال القراءة والكتابة، وهذا لتجنيب المساجد ضوضاء الأطفال والحفاظ على نظافتها.

وقد كانت الكتاتيب منتشرة جدا في الجزائر، حيث لا تخلو قرية ولو صغيرة من كتاب يتعلم فيها الطفل القراءة والكتابة والحساب ويدرسون القرآن، وهي بمثابة المرحلة الابتدائية في الوقت الحالي،

ولعل انتشارها قد أدهش المستعمر الفرنسي عند احتلال الجزائر حيث علقت على ذلك الباحثة "إيفون توران" "Turin Yvonne" صاحبة كتاب "مجابهاث ثقافية" بقولها: "إن لم يكن كل الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة فإنهم جميعا قد مروا بالمدرسة الابتدائية" أي "الكتاب" وكانوا يستطيعون قراءة القرآن في صلواتهم. (رشيدة شكري معمر، 2016، ص 92)

ويتراوح عدد المتدربين في الكتاب بين خمسة عشر وعشرين، يقضون في الكتاب ثلاثة أو أربعة أعوام يحفظون القرآن، ثم ينتقلون إلى مستوى أعلى يدرسون الفقه والتوحيد والنحو في المدارس والزوايا، ومن خلال هذا يتبين لنا الأهمية الكبرى للكتاتيب خلال العصر العثماني في تربية الأبناء وتعليمهم أحكام الإسلام، وانشائهم على نموذج اجتماعي محدد.

3.5. المدارس

أسست المدارس في الجزائر أولا من طرف الموحدين، وساهمت الدولة الزيانية في انتشارها قبل مجيء الأتراك خاصة في عاصمتها تلمسان وضواحيها، والغرض من انشائها تخفيف الضغط عن المساجد من خلال مساهمتها في القيام ببعض المهام كتدريس بعض العلوم، كالدين واللغة ومبادئ القراءة والكتابة، كذلك تعليم الحساب وطرق التداوي، كما أنها لعبت دورا محوريا في القضاء على الأمية وتزويد الدولة بموظفين مثقفين.

وقد عرفت الجزائر ابان العهد العثماني انتشار واسع للمدارس حيث كان لا يخلو حي من أحياء المدن من مدرسة، بل انتشرت حتى في الأرياف، فكانت الجزائر العاصمة لوحدها تحوي مئتين وتسعة وعشرون مدرسة من بينها "المدرسة القشاشية" التي كانت صرحا مهما واعتبها البعض مركز للتعليم العالي. (المرجع نفسه، ص 92)

وفي المقابل انتشرت المدارس في الشرق الجزائري منذ العهد الحفصي، وزادت انتشارا في العهد العثماني خاصة في عهد "صالح باي" الذي نهض بالمدرسة ويذكر أن مدينة قسنطينة

كانت تضم حوالي تسعون مدرسة للتعليم الابتدائي وسبع مدارس للتعليم الثانوي والعالى. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص 275)

وعلى الرغم من أن بعض المدارس كانت موجهة لخدمة طائفة معينة إلا أن الوظيفة الأساسية كانت تربية الأطفال على تعاليم الدين ونمط اجتماعي يتماشى وقيم المجتمع الجزائري ومبادئه، باعتبار تحفيظ القرآن هو أساس الثقافة الإسلامية، وتعليم اللغة العربية الفصحى فيه صون لسان الطفل من اللغات الأجنبية، وبذلك يشق طريقه في المجتمع كإنسان مثقف يستطيع المشاركة في خدمة الوطن.

4.5. الزوايا

أبرز ما مميز العهد العثماني في الجزائر كثرة الزوايا وانتشارها الواسع، حيث كانت تمثل مقرا للعبادة والدراسة، كتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ القراءة والكتابة، تحمل الطابع الديني والثقافي، يقيم فيها الشيخ الصوفي، حيث يؤدي فيها صلواته ويعتكف للعبادة والأوراد ويلتف الطلبة والمريدون حول شيخهم، وقد كانت عبارة عن مجتمعات من البيوت والمنازل.

وتنقسم الزوايا حسب استقلاليتها إلى قسمين، زوايا حرة لا تنتسب إلى أي ولي أو طريقة صوفية يدير شؤونها مجلس يتكون من مجموعة طلبة، وزوايا تخضع في تسييرها لمؤسسها أو من خلفه، تتلمذ بهذه الزوايا غالبية علماء الجزائر في العهد العثماني أمثال "سعيد قدورة"، حيث جلبت إليها العديد من الطلبة، على غرار زاوية "تواتي".

ويذكر أن زاوية "سيدي عبد الرحمان اليلولي" التي تأسست سنة 1635م على يد شيخها، تميزت بمستوى تعليمي عال يدرس بها مئة وخمس وعشرين طالبا ويدرس بها خمس وعشرين مدرس. (الشريف كمال دحومان، 2013، ص 127)

كذلك انتشرت الزوايا بشكل واسع في الغرب الجزائري، منطقة الزواوة بالقبائل والمناطق الجنوبية، وحظيت الزوايا بعدد كبير من الطلبة فكان لها نظام داخلي لطلابها، بحيث توفر للمقيمين الطعام والمأوى والتعليم.

وقد كانت "زاوية الهامل" تعد من أهم مراكز الإشعاع الروحي والثقافي في ربوع منطقة الحضنة والتي تأسست سنة 1817م، واعتبرت من بين أهم الزوايا التي تمثل مدرسة حقيقية، فكان لها الفضل في بروز علماء في جميع الميادين، وهي تعتبر كنقطة انتقالية يتأهل الطلبة النجباء منها نحو الجامع الأزهر بمصر وجامع القيروان بتونس. (كمال غربي، 2011، ص 161)

وقد أقر "محمد المأمون المصطفى القاسمي الحسني" بأن رسالة الزوايا كانت تتضح لكل دارس نزيه، فهي رسالة شاملة شمولية هذا الدين، فهي رسالة حضارية ارتبط بها تاريخ الجزائر العلمي والثقافي ارتباطا وثيقا، فلم يقتصر دورها على التربية والتعليم فقط، بل كانت وظائفها أشمل وأعمالها أعم وأوسع فهي معقل تربية وجهاد ومعهد علم وعمل وموطن تلاوة وذكر. (سالم بوتداره، 2016، ص 134)

ومما سبق نؤكد أن أكبر ميراث للجزائريين من الدولة العثمانية هو كثرة الزوايا وانتشار الطرق الصوفية، وإن اشتهر أحدهم بين العامة خصص له مكانا أو مركزا يستقبل فيه الزوار والمريدين، يعلمهم الدين على طريقته، ويصبح المركز زاوية تسمى على اسمه "سيدي فلان"، ويدفن ذلك الشيخ بعد موته داخل هذا المركز فيصبح هذا الضريح مكان للزيارة والتبرك وطلب الرزق والولد...إلخ، وما زالت بعض الزوايا في وقتنا الحالي شاهدة على هذه الظواهر خاصة في الغرب الجزائري وبعض المناطق الجنوبية.

5.5. الرباطات

كانت تشبه الزوايا في خدمة الدين والمجتمع، إلا أن ميزتها هو كونها قريبة من الحدود مع الأعداء، لذلك كانت الغاية من إقامتها بالدرجة الأولى خدمة الجهاد والدفاع عن الوطن، لذلك انتشرت بشكل كبير على السواحل، فكان طلابها جنودا وطالبي علم.

لذلك كان المجاهدون يؤوون إليها لطلب الزاد والسكن، وكانت الجهة الغربية من الجزائر أكثر المناطق لتواجد الرباطات لقربها من أوروبا، فكان تهديد الأسبان لوهران يشكل خطرا دائما، وقد لعبت الرباطات دورا مهما في فتح وهران، حيث اشتهر "مصطفى الرماصي"، "أبو الحسن"، "محمد بوجلال" و"الظاهر بن حوا" كونهم من علماء الرباطات، ومن الرباطات التي اشتهرت رباط "محمد بن علي المجاجي". (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص-ص 272-273)

6.5. المكتبات

إذا كان الحكم على النشاط الثقافي لبلد ما يرتكز على كثرة الكتب والمكتبات التي تحتوي عليها، فإن الجزائر في قبل العهد العثماني كانت في مقدمة العديد من الدول التي تحوي كم هائل من الكتب والمكتبات، وتشهد تعبيرات الباحثين الفرنسيين الذين شاهدوا وجمعوا المخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية في أعقاب الاحتلال، أنهم اندهشوا من كثرة الكتب التي عثروا عليها وتنوعها وجمالها والعناية بها، ومن الأمثلة على ذلك الاعتراف بالبارون دي سلان الذي كتب تقريرا عن مكتبات قسنطينة مباشرة بعد احتلالها.

فمن بين الميادين التي ازدهرت فيها تلمسان خلال العهد الزياني، ميدان النسخ والوراقة، حيث تطور فن نسخ المصاحف والكتب الدينية المشرقية والمغربية تطورا كبيرا وملحوظا فضلا عن المصنفات التلمسانية المحلية ومختلف الكتب العلمية والأدبية وفن الرسائل الديوانية.

وبهذا بلغت تلمسان في تأليف الكتب ونسخها ابان العهد العثماني درجة عالية من الاجتهاد والتنافس، وبرزت العديد من المكتبات على غرار مكتبة "مدرسة أولاد الامام" التي يعود تاريخ تأسيسها إلى الحقبة الزيانية على يد السلطان "أبي حمو الأول"، إلا أن ضوءها الساطع بدأ يخفت ويضمحل خلال العهد العثماني، كذلك مكتبة "مدرسة المسجد الكبير" التي تأسست على يد السلطان الزياني "أبا عبد الله محمد بن موسى". (محمد بومدين، 2021، ص-ص 589-590)

بالإضافة إلى تواجد المكتبات الخاصة ببيوت العلم والعلماء مثل مكتبة "الشيخ المقرئ"، مكتبة "ابن مريم"، مكتبة "الشيخ الداودي"... إلخ

وقد كثرت المخطوطات في العصر العثماني حيث انقسمت مكتباتها إلى مكتبات عامة وخاصة، ضمت مخطوطات متنوعة في مختلف الفنون، وتوجه إليها الطلاب والمدرسون من كافة المناطق لقراءتها، كذلك تنوعت مصادر الكتب، فإلى جانب الأندلس التي زودت المكتبات الجزائرية العامة والخاصة، هناك دول إسلامية أخرى والتي بدورها تعتبر مصدرا للمكتبة الجزائرية في العصر العثماني، وتتنوع هذه المكتبات في جميع أنحاء الأراضي الجزائرية، حسب الثقافة والاهتمام بتدريس العلوم وحسب أهمية الأماكن، وخاصة في المدن مثل الجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان، وكانت القسطنطينية مولعة باقتناء الكتب والبحث عن المخطوطات.

خاتمة:

يتبين لنا أن المجتمع الجزائري قد عاش نوعا من الاستقرار الاجتماعي في الإطار العربي الإسلامي رغم أن النظام العثماني لم يكن عربيا، ولم تكن مؤسساته الإدارية ووسائله الخاصة تستخدم اللغة العربية، وعلى العكس من ذلك، اتجهت هذه المؤسسات إلى منافسة اللغة العربية، تاركة المجال للغات الأوروبية واللهجات المحلية المختلفة، ورغم قلة الإمكانيات المادية والبشرية وعدم اهتمام الدولة الكبير بالجانب الثقافي، إلا أن بعض المؤسسات الثقافية كالزوايا والمساجد والكتاتيب قد ضمنت الحد الأدنى من التعليم والتدريس.

رابعاً

العلماء ورجال الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني

رابعاً: العلماء ورجال الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني



مقدمة

إن البحث في الحياة الثقافية والتقني حول العلماء ورجال الثقافة في الجزائر ابان العهد العثماني يستلزم فهم العلاقات التاريخية بين السلطة السياسية والدينية، فمنذ بداية الوجود العثماني في الجزائر نشأت علاقة جدلية بين النخب السياسية والفكرية، كان لها تأثير سلبي وإيجابي على المشهدين السياسي والثقافي، فكان هناك إما خلاف أو اتفاق، ولعل سياسة الاحتواء والتدجين قد ساعدت العثمانيين في تعاملهم مع المثقفين الجزائريين. حيث تم استخلاص هذا النهج من الإدراك العثماني بأن ولاء النخب يضمن ولاء الجزائريين، بالإضافة إلى أنه يشكل استراتيجية سليمة للتأثير على السياسة والثقافة والمجتمع المحلي، وقد أدى نجاح هذا النهج إلى قيام العثمانيين بتوظيف عروج وحلفائه لتحريض عدد كبير من العائلات العلمية على البيعة، بما في ذلك بيوت ابن باديس، والفكون، وقدورة، وابن القاضي، إذ قدمت هذه العائلات خدمات لا تقدر بثمن للسلطات العثمانية في أوقات التمرد والاضطرابات السياسية.

وقد كان للتنظيم والنظام الإداري العثماني في الجزائر أثر عميق في تعزيز سلطة المثقفين كما يظهر من المناصب الرسمية الخاصة المقدمة حصرا للمثقفين من بينهم القضاة، الخرنجي (أمين صندوق الدولة)، شيخ البلد (زعيم القرية)، النقيب الأشرف (رئيس جماعة أشرف)، قائد الدار وباش ككاتب (سكرتير)، وأمين السقا (مفتش السوق)، كذلك اجتذب النظام القضائي أكبر عدد من المثقفين، وكان يتألف من رئيسين للقضاة، أحدهما من المذهب المالكي والآخر من المذهب الحنفي، مدراء الأوقاف، ممثلو الحكومة والضباط، وكان القضاء واسع التطبيق حيث شمل جميع المدن والمناطق الساحلية والبلدات والقرى، وكان للنظام الإداري الواسع بمواقع السلطة المتعددة دور فعال في احتواء الطبقة المثقفة الجزائرية وإدارتها حيث أمدها بالسلطات والثروة والمال، وكذا بعض الامتيازات الحصرية، إلا أن سياسة الإقناع والتملق والتدجين لم تكن ناجحة دائما، إذ يشهد التاريخ على خلاف بين السلطات العثمانية العليا والإدارات المحلية، وأدى هذا المأزق إلى ظهور بدائل في تاريخ المشهد الثقافي نتيجة المظالم الكثيرة التي تعرض لها العلماء المحليون، مما دفع غالبيتهم إلى الهجرة إلى بلدان

أخرى أو حتى الفرار من قبضة العثمانيين، ويمكن أن نزع بشكل مقنع أن غالبية التمردات التي ابتلي بها الحكم العثماني في الجزائر كانت بقيادة أو توجيه مباشر من قبل بعض علماء الدين المفكرين والشعبيين البارزين على غرار "ثورة يحيى الأوراسي" وأخيه أحمد في القرن السابع عشر، "أحمد الزواوي"، و"محمد الغراب" (1792) ضد سلطة "علي صالح باي" (1792) في قسنطينة هي أمثلة حية، وتمثل ثورتا "درقاوة" (1802) في الغرب، و"ابن الأحرش" (1803) في الشرق حدثين مهمين في التاريخ السياسي والثقافي للجزائر العثمانية، وقد انعكست هذه الثورات ضد العثمانيين بعمق في ثقافة ذلك الوقت، مما دفع الإداريين العثمانيين إلى مراجعة سياساتهم من خلال سحب ثقتهم من السلطات الدينية المحلية، وإنشاء مدارس ومعاهد لمواجهة سلطة ونفوذ المؤسسات التعليمية الصوفية الرائدة مثل الزوايا والربطات، إلا أن ذلك أدى إلى خسارة العديد من العلماء الذين عانوا من القيود والمضايقات التي فرضها الأتراك على رموز الجزائر التربوية والثقافية.

وقد تعرض لهذه المضايقات عدد لا بأس به من العلماء البارزين مثل "أبو رأس الناصري" (1823) الذي ألف كتابا عن حروب الدرقاوة بعنوان "دار الشقاوة في حروب درقاوة"، وزعيم الزاوية القيطانية "محمد محيي الدين" (1833)، وابنه "الأمير عبد القادر" (1883) اللذين منعا من السفر إلى مكة للحج، ومن هؤلاء العلماء أيضا "ابن القندوز التاجيني" (1828) الذي قتله الأتراك بمارونة، كما ضيق الخناق على "أحمد التيجاني" (1815) حتى فر إلى المغرب، كما فر "الشريف بن تكوين" (1851) إلى المغرب، بينما فر "محمد بن علي السنوسي" (1859) إلى مكة، وقد حدثت مثل هذه الأحداث من فعالية الإصلاحات التعليمية التي اعتمدها الأتراك في الفترة اللاحقة من حكمهم، ويجب فهم جذور هذه الفئة المثقفة التي تعود إلى ما قبل القرن التاسع عشر من منظور تاريخي مناسب. (Tarek Ladjal and Benaouda Bensaid, 2014, p569)

1. المستوى العلمي للعلماء ورجال الثقافة في الجزائر

تم التطرق إلى بعض أعلام الجزائر إبان العهد العثماني من أمثال "سعيد قدورة"، "عمر الوزان"، "عبد الكريم الفكون"، "أحمد المقرئ"، "أبي راس الناصري" وغيرهم... الخ وقد تركزت الحركة العلمية والثقافية في الجزائر في العلوم الشرعية أو الدينية (العلوم النقلية) على غرار علوم القرآن (التفسير والقراءات)، الفقه (فقه المعاملات والعبادات، أصول الفقه)، علوم الحديث، علوم التوحيد أو العقيدة الذي احتل مكانة عالية عند العلماء وكان موضع صراع دائم بين السنة والمتصوفة، إضافة إلى علوم اللغة والنحو والبيان، ومن جهة أخرى كثرت الشروح والتمتون والتلخيصات.

ولعل التركيز الفردي للبعض على العلوم الشرعية في تلك الحقبة يستند إلى الموروث الحضاري الإسلامي الذي تراكت معارفه منذ أكثر من 10 قرون، مما جعل علماء الجزائر يشتدون إلى النقل والتقليد والحفظ أما المرجعية الشرعية في مختلف القضايا هو القرآن والسنة ويخرج عن هذا الإطار بعض الاجتهادات الفقهية، ذلك أن الفتوى الفقهية تتغير بتغير الزمان والمكان، وبالتالي فإن علمائنا لا يؤخذون إذا لم يقدموا الجديد في القضايا الشرعية (القطعية) في أعمالهم انطلاقاً من القاعدة الشرعية لا اجتهاد مع النص. (رزاق بكرة مرم، 2021، ص 81)

فالحكام الأتراك لم يشجعوا ولم يهتموا بالحياة الأدبية وتركوا الثقافة والأدب والعلم إلى المبادرات الفردية، لأن اهتمامهم كان منصبا على السياسة وأمور الجيش، ومع ذلك يذكر التاريخ "يوسف باشا" الحاكم الذي اهتم بالجانب الثقافي والأدبي وقرب منه بعض العلماء فحظي عنده "الشيخ الانصاري"، وصار "الشيخ الثعالبي" بمكانة كاتبه الخاص، ومن دون الحديث عن التصوف الذي طبع الحياة الفكرية في الجزائر لا يمكن الوصول لمعرفة مجريات الحياة الثقافية فيها، حيث ظهرت المبالغة في الاعتقاد في الشيخ وابتداع الحضرة والأوراد وانتشار الأضرحة، وهو ما كان له أثران خطيران أولهما تبسيط المعرفة وغلق الاجتهاد والاكتفاء بالحد الأدنى من التعليم، فأصبحت الزاوية تنافس الجامع والمدرسة بل تفوقت عليهما، فلجأ الجميع إلى تبسيط العلوم المدرسية وزاد التنافس بين الطرفين بحثا عن لقمة العيش.

كل هذه المعالم ساهمت في انحطاط العلوم وضعف التعليم في الجزائر، فمن هنا نعرف المستوى الحقيقي لعلماء الجزائر في عهد قل فيه البحث عن العلوم العقلية وانصب طلب العلم على العلوم الدينية، وخلاصة القول بأن أغلبهم من الصوفية وقلة منهم من هو على منهاج الكتاب والسنة.

وقد أشار إلى ذلك "الناصرى" في قوله "إن في زمن عطلت فيه مشاهير العلم معاهده وسدت مصادره وموارده وخلت دره ومواسمه وعفت أطلاله ومعالمه، لاسيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب، قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان واستوطن فحولها زوايا الخمول... متأسفون من انعكاس أحوال الأذكياء والأفاضل". (محمد بن أحمد أبي راس الناصري، 2005، ص-ص 11-12)

فالشيخ "أبوراس الناصري" كان يرفض الغلو والتطرف الذي طال بعض الطرق الصوفية وجابهم بالحجج، كما هو شأن الشيخ "أبي المحلي" الذي رد على بعض شيوخ الصوفية وأبطل دعاويهم مثل مؤسس الطريقة الشيخية ودعاهم إلى الرجوع إلى السنة.

ولا يمكن تفويت عدم التطرق للدور الكبير الذي أداه علماء الجزائر في الحرب والسلام وفي حماية الدين والوطن، والقضاء والتدريس والدعوة إلى الجهاد. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص387)

وهذا بالرغم من أنهم ليسوا خريجي الجامعات والمعاهد مثلما هو حالنا اليوم، فمصادر تكوينهم كما ذكرنا كانت محدودة وشملت المساجد والزوايا وبعض المؤسسات الإسلامية. وللعلم فإن بعض المهن لم تكن مرغوبة على غرار مهنة التعليم أو التدريس، فقد كانت مهنة تجلب لصاحبها الفقر بقدر ما تجلبه من عطف الناس وتضامنهم والاحترام، وفي المقابل كان العلماء يمثلون الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني، فرغم ترفعهم الطبقي كانوا على صلة بالناس في الدروس ومجالس الفتوى والقضاء والزوايا وخطب الجمعة، وكان الناس يثقون في العلماء أكثر مما يثقون في رجال السياسة، ولمكانتهم هذه كان السلاطين يقدرونهم ويخشونهم ويتقربون منهم. (زهية دباب ووردة برويس، 2021، ص- ص 183-184)

2. علاقة العلماء ببعضهم البعض

إن الحديث عن العلاقة التي كانت تربط بين العلماء في الجزائر خلال العهد العثماني هو الحديث عن العلاقة التي تجمع بين علماء المالكية وعلماء الحنفية، وعلينا أن نطيل الحديث عن الأسباب التاريخية وأصول انتشار المذهب المالكي في الجزائر لنقول إن المذهب المالكي استمر في الوجود منذ القرن الأول لفتوحات شمال إفريقيا إلى يومنا هذا، ورغم أن الجزائر كانت تحت حكم العثمانيين الذين فتحوا المجال لعودة المذهب الحنفي إلى الجزائر بعد غياب عدة قرون، وبالتحديد منذ القرن السابع حيث كان يسمى في تلك الفترة بالمذهب العراقي، وقد حدث صراع كبير وطويل بين المالكية وعلماء الحنفية، ومع ذلك استمر انتشار المذهب المالكي طوال فترة الوجود العثماني في الجزائر.

ولعل أكثر ما طبع العلاقة بين مشايخ وعلماء المذهبين هي مظاهر الود والمحبة، ويتجلى ذلك من خلال الثناء على بعضهم البعض على غرار الشيخ المالكي "أبو راس الناصر" الذي أثنى على الشيخ "عبد المالك الشامي" مفتي مكة، وعلى الشيخ "محمد بيرم" مفتي بتونس وكلاهما من مشايخ الحنفية، كذلك أثنى الشيخ "الحسن الورتلاني" المالكي على الشيخ "شعبان بن جلول" قاضي حنفي بقسنطينة. (بلقاسم جغيبيل ولخميصي فريخ، 2021، ص 516)

ويذكر الشيخ "أحمد المقرئ" أنه حل بالجزائر وخرج إلى رأس "تافورة" صحبة جماعة من الأعيان، منهم مفتي الحنفية الخطيب "محمود بن حسين بن قرمان"، وقد مدحه بقصيدة تظهر الحفاوة وتعكس مقدار المحبة والاحترام المتبادلين، وهذا مقطع منها: (أحمد المقرئ، ت: محمد بن عمر، 2004، ص11)

ذاك الامام أبو الثنا ذو المجد والرتب المنيفة
صدر الشريعة والذي أحيى علوم أبي حنيفة
حرس الإله جنابه من سطوة الدهر العنيفة

ومما ذكر أيضا أن هناك وثيقة تقول: أن أحدهم، وهو "عبد القادر بركات" حضر لدى القاضي مع شاهديه، وأخبره أنه أخذ بالشفعة البحيرة الموجودة بالدخلة، وقال إنه اشتراها من صاحبها "الصغير اللغموشي"، وإنما جاء إلى القاضي المالكي ليخبره وأخبر القاضي المالكي أنه أخذها على مذهب النعماني "الحنفي"، فقط وهي القصة التي بينت تلك المحبة والثقة التي وضعها "عبد القادر بن بركات" في المفتي المالكي الذي جاء ليخبره دون أي حرج من إبداء مذهب، وقابله القاضي المالكي بالاستماع بكل طيبة خاطر، و يبرز لنا مظاهر التعايش والتآخي بين المذهبيين في الجزائر آنذاك. (أبو القاسم سعد الله، 2017، ص287)

وقد كان علماء المذهبيين يجتمعون في غير مناسبة، يتبادلون عبارات الود والتآخي ويخرجون معاً، سواء للتنزه أو لنشر العلم، وكان بعض علماء الحنفية يستدلون بأقوال للمالكية، والأمر نفسه لعلماء المالكية.

3. بعض وظائف العلماء ورجال الثقافة في الجزائر

أسند الحكام العثمانيين مهام ووظائف مختلفة للعلماء ورجال الثقافة من المذهبيين المالكي والحنفي بحسب مستوى كل واحد منهم، ولعل أهم هذه الوظائف التي تقلدها العلماء نجد الإفتاء، القضاء، التعليم، الإمامة، الخطابة... إلخ، حيث كان الحاكم أو الوالي هو من يعين أو يعزل العالم وغالبا ما يكون لسبب معين.

1.3.1. الإفتاء¹

لم يكن هذا المنصب موجودا من قبل كوظيفة رسمية في الجزائر إلا بعد دخول العثمانيون، أي أن الأتراك هم من أسسوا هذه الوظيفة بشكل رسمي، ومع تطور الدولة واتساع مساحتها أراد السلطان العثماني توحيد الممارسات الدينية ليجعل من منصب المفتي المرجع الفقهي الأول،

¹ الإفتاء عرفه الامام ابن القيم على أنه الاخبار عن الحكم الشرعي دون إلزام

وهذا من أجل صد المعتقدات الفاسدة والوقوف في وجه الأشخاص الجهال الذين يدعون العلم، فيضلون عن الطريق ويضلون الناس عنها.

وقد حدث وأن ادعى "بدر الدين القاضي" "أن الجحيم والجنة يمثلان الألم والفرح، وتأتيان من فعل الشر والخير، وكل المحرمات قد رفعت وأن كل شيء جائر ومحلل...". (أحمد صديقي علي شقيرات، 2002، ص 92)

يعتبر الإفتاء أعلى المناصب التي ينالها العالم، ومن أجل تقلد هذه الوظيفة استلزم على الشخص أن يكون غزير العلم متعمق في المسائل الدينية عارفا لكتاب الله وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، مطلعاً على تفاسير القرآن، معروف بالصلاح والنزاهة ولا يخشى أحد إلا الله. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص 391)

ويعتبر المفتي هو المترجم للأحكام الشرعية ولكن بالرغم من علو هذا المنصب إلا أن تأثيره على السياسة كان شبه منعدم، وقد كان العثمانيون يفضلون المفتي الحنفي على المالكي، ولذلك لقبوه "بأفندي"، وهذا اللقب كان يطلق على الداي فقط.

وللحديث عن واجبات المفتي غير أداء مهمة الإفتاء، نذكر الولاء للسلطة باعتبار أنه تم ترسيمه من طرف جهاز الدولة، وهذا قصد كسب نفوذ وود العلماء من ناحية، ومن جهة أخرى خلق جو تنافسي على المنصب بينهم، وقد برز هذا التنافس إلى درجة الانحطاط فصار المنصب قابل للمساومة، وأصبحت الذمم تباع وتشترى والمكائد تدار بالليل والنهار. (محمد لعباسي، 2013، ص 142)

وننوه بأن الولاء للسلطة يتمثل في الدعاء للحاكم على المنابر وعدم إثارة الناس عليه.

وفي المقابل يتحصل المفتي على امتيازات مادية كالأجرة التي تدفع إليه بشكل منتظم ويسقط عليه دفع الضرائب، وغالبا ما يوكل إليه أمر تسيير الأوقاف كما هو حال المفتي "سعيد قدورة" الذي كلف بإدارة أوقاف الجزائر، بالإضافة إلى امتيازات معنوية توجب على الناس احترام المفتي حيا وميتا، بل بالغوا في ذلك إلى درجة التقديس كما هو الشأن مع الصوفية المرابطين الذين وصل بهم الحال إلى تشييد وتقديس الأضرحة والطواف بها، كذلك حصر بعض المناصب لعائلة المفتي دون النظر لجدارتهم.

2.3. القضاء²

لا تقل هذه الوظيفة أهمية عن الإفتاء إلا أنها وظيفة تجمع بين السياسة والدين، لذلك كان الفقيه الورع الحافظ لحدود الله يعتذر عن ممارسة مهنة القضاء خوفا من الوقوع تحت ضغط الحاكم

² القضاء هو الفصل في الخصومات وقطع المنازعات، أو الحكم بني خصمني أو أكثر بما شرعه الله.

في اصدار الأحكام، فيظلم نفسه بظلم المتخاصمين وعدم موافقة الحق، ومع هذا كان الكثير من أهل العلم يطلب هذا المنصب تقربا للحاكم وطمعا في المال والجاه، ولذلك اتخذ الأتراك قضاة أحناف في بادئ الأمر خشية تولي علماء لا يعرفونهم منصب القضاء، فعمدوا إلى جلب فقهاء أحناف من دولتهم كانت نية غالبيتهم تحصيل المال والثروة.

والذي يمارس هذه الوظيفة يطلق عليه اسم القاضي، حيث كانت مهمته الرئيسية الفصل في النزاعات القائمة بين طرفين أو أكثر، ودراسة الشكاوى سواء كانت مدنية أو اقتصادية، كما أن يقوم بتوجيه الوظائف الدينية والاشراف على الأوقاف وتعيين القائمين عليها. (MERCIER Ernest, 1869, p 68)

ولعل أهم الهيئات القضائية التي كانت موجودة في المدن هي المحكمة (الحنفية والمالكية)، المجلس العلمي الذي سمي بالمجلس الشريف، حيث كان يضم مفتيي وقاضيي المذهبين من اختصاصه استئناف الأحكام بعد رفع الطعون من طرف المدعي، أي أنه بمثابة ديوان المظالم.

كذلك هيئة قضاء الداي الذي كان يمثل محكمة عليا، يسمى بمجلس الامارة حيث أخذ الداي هذه الصلاحيات باعتباره حاكم الدولة وقائد الجيش، ويعد ثاني مجلس قضائي بعد مجلس الشريف يضم مفتيي وقاضيي المذهبين ومجموعة من العدول والشاش وأحيانا بعض ضباط الجيش، من اختصاصه الفصل في القضايا التي لم تحل على مستوى المجلس العلمي. (شهباز شلبي، 2019، ص90)

أي أن مؤسسة القضاء في الجزائر خلال العهد العثماني تميزت بازدواجية في المذاهب هما المالكي والحنفي، فكان غالبا ما ينظر إلى القضايا المتعلقة بالمعاملات التجارية كالبيع والرهن، قضايا الزواج والطلاق وغيرها...إلخ.

ومن جهة أخرى استطاعت الأقلية اليهودية والمسيحية في الجزائر من الحصول على استقلالية في الجوانب الدينية والقضائية، فكان لهم نظام قضائي خاص ينظر في القضايا الاجتماعية والاقتصادية، أما القضايا المتعلقة بالسياسة أو الأمن فكانت تعالج على مستوى المحاكم الإسلامية.

أما الحال في المناطق الريفية فقد كان مختلفا عن المدن، حيث كان القضاء يرتبط ببنية المجتمع فكان أهل القرية يحتكمون إلى شيخ القبيلة أو القرية لما يملك من الهيبة والحكمة واحترام الناس، كذلك أدى انتشار الطرق الصوفية في الأرياف إلى استحوادها على قلوب العامة مما جعلها تؤدي أدوارا غير الدور الذي أوجدت له، فتدخلت في الحياة الاجتماعية

والاقتصادية للسكان، بل لعبت أيضا دور الهيئة القضائية من خلال فض النزاعات بين الناس وانتهاء شتى الخلافات.

3.3. التدريس



يأتي التدريس من حيث درجة الاقبال عليه كمهنة بعد عدة وظائف، وهذا نتيجة للأجرة التي يتقاضها المعلم وقلة الامتيازات الأخرى، لذلك ظل التنافس بين العلماء ورجال الثقافة على مناصب الإفتاء، القضاء، الخطابة والامامة أكثر حدة، أي أنه من يستطيع ممارسة مهنتي الإفتاء والقضاء يمكنه أن يكون مدرسا، (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص-ص 396-397)

وقد كان حاكم المدينة أو الباشا هو المسؤول على تعيين المدرسين في المدينة، وفي الريف تعود مسؤولية تعيين المدرسين على عاتق شيخ القبيلة أو الجماعة، وغالبا ما تكون بعض الوظائف على غرار التدريس وراثية داخل الأسرة، كما هو الحال مع عائلتي "الفكون والمقري"، باعتبار أن من أعراف المجتمع الجزائري الراسخة تقدير واحترام أهل العلم، وكما أشرنا في محاضرة سابقة (المتعلقة بالتعليم) فقد كان أساس التعليم في الجزائر هو العلم الشرعي أو ما يعرف بالعلوم النقلية، فمعرفة الدين كانت عمدة التعليم، وأحيانا حتى بعض العلوم الأخرى كالحساب الفلك كان الغرض منها معرفة الفرائض وأوقات الصلاة وتقسيم الميراث... إلخ، أي تعلم بصيغة دينية، لذلك كان ينظر لوظيفة التدريس من زاوية أوسع، فالمدرس يقوم بخدمة الدين بالدرجة الأولى، ويرجع الفضل في انتشار التعليم في الجزائر خلال تلك الحقبة لحب أفراد المجتمع وتعلقهم بالعلم واستعدادهم للتعلم.

ولأن السلطات العثمانية ركزت على المحافظة على الاستقرار السياسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب لبيت المال فقد بدى واضحا اهمالها للتدريس، إذ لم تكن لها سياسة تعليمية

ولا خطة أو برنامج رسمي لتشجيع التعليم وتطويره أو العناية بأهله، ولم تتدخل كسلطة في شؤون التعليم باستثناء بعض البايات مثل "محمد الكبير" و"صالح باي". (حميد آيت حبوش، 2017، ص26)

أما بالنسبة لأجور مدرسي المساجد والمؤدبين ومعلمي المدارس، حيث أن هذه الفئة كان تصنيفها في قائمة الموظفين في المساجد ويتقاضون مرتبات وإعانات حسب درجاتهم، فالمؤدب أو المعلم في الكتاب أو المسجد كان يتقاضى أجرة شهرية 2 ريال، والمدرس في المسجد يتحصل على راتب مقابل تقديم الدروس قدرة 5 ريال شهريا، هذا بالإضافة إلى الصدقات والإعانات النقدية والعينية التي كان يتحصل عليها والتي كانت تزداد قيمتها في المناسبات الدينية. (لنوار صبرينة، 2021، ص 104)

والجدول التالي يمثل جدول راتب المدرسين في مسجد عبيد باشا (1142هـ/1729م)

الوظيفة	الأجرة (ريال)	الشهرية
الخطيب	15	
الامام	08	
المدرس	05	
حزاب	02	
حزاب مؤدب الصبيان	02	
مؤدب الصبيان	02	

المصدر: (لنوار صبرينة، المرجع نفسه، ص25)

ولالإشارة فإن الخزينة العامة للدولة لم تكن تهتم بالإنفاق على التعليم ولا بتسديد أجور المدرسين، بل كانت الأوقاف تقريبا هي المورد الأساسي التي تمول التعليم في الجزائر، إذ أن أكثر مدارس التعليم كانت دينية تعليمية كالزوايا، المساجد، الكتاتيب والرباطات... وأدى انتشار المدارس في المدن إلى تميزها كونها تمثل إشعاع ثقافي تعليمي.

4. علاقة العلماء ورجال الثقافة بالسلطة العثمانية في الجزائر

أدركت السلطات العثمانية منذ البداية أن أكثر ما يهتم له أفراد المجتمع الجزائري ويحرك مشاعرهم هو الوازع الديني، ولأن تأثير الزوايا والطرق الصوفية على عقيدة العثمانيين كان كبيراً، فقد كانوا يدينون بالولاء لمشايخ الصوفية الذين ظلوا يرسمون سياسة الدولة وقيادتها، حيث أجمع أغلب البايات على تبجيل العالم والتبرك بالأولياء الصالحين أحياء وأمواتاً.

1.4. مظاهر التقارب بين السلطة والعلماء

من مظاهر التقارب بين السلطة العثمانية والعلماء تبجيل الأولياء والعلماء، حيث نجد مثلاً "الباي محمد الكبير" باي الغرب قد أخذ بالطريقة عن جد "الأمير عبد القادر" وبقي في خدمته قائماً على إرضاءه، وعند الفتح النهائي لمدينة وهران استشار العلماء في قضية القبائل التي كانت متعاونة ومتحالفة مع الإسبان لإحاطتهم بأمر الشريعة وباستشارتهم يكون الفوز والنجاح. (عبو إبراهيم، 2018، ص 144).

وقد كان البايات والباشوات يتبادلون الزيارات مع العلماء ورجال الدين أفراداً وأسر من أجل التقارب والتحالف فيما بينهم، وكذا نسج علاقات الود والصداقة معهم، والأمر الذي زاد هذه العلاقات متانة وصلابة هو التهديد الإسباني للسواحل الجزائرية مما استدعى تدخل العلماء لحث الشباب على الجهاد والالتحاق بصفوف الجيش العثماني لصد العدو الغازي.

وفي المقابل كانت بعض المناطق لا تستجيب لوساطة العلماء من أجل القضايا العامة، بل تكفل مساعي العلماء بالفشل والاختفاق كما هو الشأن عندما تدخل علماء ومرابطي "مدينة مازونة" لإطفاء فتيل النزاع القائم بين الرعية وجيش الإنكشارية، ومحاولاتهم للصالح وجلب السلم للمنطقة. (عبد الجليل رحموني، 2020، ص 323)

ومن جهة أخرى حاولت السلطة العثمانية إرضاء العلماء بالمناصب، إذ تم تعيينهم في مناصب مهمة كالقضاة والإمامة والخطابة... وغيرها من المناصب الدينية وأحياناً بعض المناصب السياسية، فمثلاً قام الداوي "إسماعيل باشا" بإصدار مرسوم سنة 1680م، أقر بموجبه تعيين "محمد بن عبد الكريم الفكون" كإمام للمسجد الكبير، وأصدر وثيقة يعينه أمير لركب الحجيج. (أبو القاسم سعد الله، 1986، ص 225)

كذلك منح "الباي فرحات" لعائلة "الفكون" سلطة الإشراف على جمع وتحصيل الضرائب من سوق الخضر والفواكه من قسنطينة وإعفاء عائلة "الفكون" من جميع الضرائب، بل مكنهم من حق المكس وحصولهم على حق العشر من الزرابي والخشب المجلوب من الأوراس. (المرجع نفسه، ص 75)

وفوق ذلك أعطى "الباي" عائلة "الفكون" امتيازات أخرى كالشفاعة لكل من يلجأ إليهم ولو ارتكب جريمة، وكل شخص يحتمي بالشيخ "عبد الكريم الفكون" فهو مصون ولا يمكن لأحد التعرض له بأي شكل من الأشكال، ولكن لماذا كل هذه الامتيازات "عبد الكريم الفكون" وعائلته؟، وكيف حصل هذا؟ هل هو تقديم الدولة العثمانية للعلماء وتبجيلهم بسبب مكانتهم العلمية؟ أو من أجل استغلالهم لأغراض خفية؟

يذكر المؤرخون أن منطقة الشرق الجزائري قد مرت بثورة من أعنف الثورات (ابن الصخري والداوودة) في عهد العثمانيين هزت أركان الدولة وأطاحت بالسلطة في هذا الإقليم، بل وهددت السلطة المركزية بالجزائر، وباعتبار أن الشيخ "عبد الكريم الفكون" كان عالما وموظفا يقوم على أمور الجامع الأعظم فقد عارض بشدة العنف والفوضى وفضل الأمن والاستقرار، لذلك اختار صف الحاكم وفرضه على سكان المنطقة ودافع عليه بكل ما أوتي من قوة ونفود. (المرجع نفسه، ص-ص 77-78)

كذلك اهتم الداوي "محمد بكداش" اهتماما بليغا بالعلماء وقربهم منه حيث كان يبين لهم كل معاني الود والاحترام، فكان يرسلهم ويثني عليهم ويشكرهم ويدعوهم إلى قصره، بل وأحيانا يقوم بزيارتهم شخصيا.

فمن بين هذه الرسائل تلك التي بعثت للعالم "أحمد بن قاسم بن محمد ساسي" في 1115هـ، حيث أشاد "بكدش" "بأحمد البوني" وعائلته، ورسالة أخرى للعالم "أحمد ساسي البوني"، والتي أشاد فيها الباي بمكانة البوني وعائلته الدينية والعلمية ومما جاء في هذه الرسالة: "مولانا المحب الأمثل الأعز الأكمل كنز العلوم والعلوم السنية وجوهرة الألفاظ الذهبية،... مولانا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا الأمد". (عبد الجليل رحموني، 2020، ص-ص 249-250)

أي أن الدولة العثمانية انتهجت سياسة الاعتماد على بعض العلماء والمرابطين من أجل الحفاظ على الملك والسلطة، وهذا عن طريق التقرب منهم وحمايتهم وكذا اعطائهم بعض الامتيازات على غرار منحهم المناصب العليا، استمالتهم وجعلهم واسطة بين السلطة والشعب، الاعفاء من دفع الضرائب، ابداء كل معاني الاحترام والتقدير وأحيانا مصاهرة البعض منهم.

2.4. مظاهر القطيعة بين السلطة والعلماء

وعلى النقيض مما سبق، نجد أن هناك بعض العلماء قد أعلنوا قطيعتهم للسلطات العثمانية نتيجة الضرائب الباهظة التي فرضتها على السكان، ومن جهة أخرى كان اهتمام العثمانيين منصبا على الجانبين السياسي والأمني للجزائر، غير مهتمين بالجانب التعليمي الثقافي،

فحدثت بينهم عدة اصطدامات، ولم يجمعهم إلا التهديد الاسباني للجزائر خاصة وأن مدينة وهران بقيت مستعمرة لسنوات طوال.

وزاد الصراع بين السلطة العثمانية والعلماء الذين وقفوا مع القبائل التي رفضت دفع الضرائب بحجة ارتفاعها وعدم توفر نظام ضريبي عادل، فشنت الدولة حملات على هذه القبائل كحملات "صالح باي" على قبيلتي "أولاد نايل وأولاد عمور" سنة 1770م، وعلى قبيلة "تفرت" سنة 1788م. (عثمان منادي، 2022، ص 478)

ولعل رفع الضريبة كان نتيجة الأزمة الحادة التي عرفت الجزائر سنوات الجفاف والقحط، حيث قلت المحاصيل الزراعية وانخفض مستوى الإنتاج الفلاحي، مما أدى إلى تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان وكذا تدهور مستواهم المعيشي، فتشكلت صراعات بين العلماء والسلطة اتخذت أشكال ومسارات عدة، وصلت إلى أعلى مستويات القطيعة ترتب عليها أعمال وأفعال شنيعة وهمجية، أدناها العزل أو السجن وأعلىها النفي أو القتل.

فمن بين الحكام الذين عرفوا بإسرافهم في قتل العلماء "الباي حسن" حاكم وهران الذي قتل عددا من العلماء والمشايخ على غرار الشيخ "الحاج محمد البوشيخي" حيث علقه على الخشبة والشيخ "بلقندوز" سنة 1243هـ، والشيخ العلامة السيد "ابن عبد الله بن حواء التيجني" شيخ درقاوة وقتل معه السيد "فرقان الفليتي" ودفنهما في قبر واحد. (محمد بن يوسف الزباني، 2013، ص 320).

كذلك سلك بعض حكام الدولة العثمانية منهج تخويف العلماء وترويعهم مثلما حصل مع الكثيرين أمثال "أبوراس"، "الزجاي"، "محي الدين"، "ابن العنابي"، "بوضياف وابن القندوز"، الشيخ "المهدي بن صالح"... إلخ، بل ومنهم من تعرض للإهانة.

والكثير من العلماء تم نفيهم كما هو شأن القاضي المالكي "محمد بن مالك" الذي نفاه "مصطفى باشا" سنة 1757م إلى القليعة بسبب صهره الذي تعدى على الخزناسي. (عثمان منادي، 2022، ص 480)

وبين العزل والنفي والقتل، وجد بعض العلماء طريقهم نحو الهجرة والهروب من بطش الحكام، ففضلوا الاغتراب والرحيل نحو الشرق والغرب على البقاء في الجزائر، وقد غادر الجزائر في تلك الحقبة عدد كبير من العلماء، فارين بدينهم على أن يكونوا ظالمين لأنفسهم فيجبروا على قول أو فعل يتوافق مع أهواء السلاطين ويتعارض مع الشريعة، عاملين بقول الله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" (النساء 97)

5. الدور الاجتماعي لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني (موقفهم من بعض القضايا الاجتماعية)

إن أهم دور يقع على عاتق العالم هي الدعوة إلى الله وارشاد الناس إلى الخير، وتوجيه الأمة إلى الصواب وطريق الحق، وتعليم الناس ما أوجب الله وتحذيرهم مما حرم عليهم، ولا ينظر لرضى حاكم أو محكوم، بل يقول ويفعل ما يرضي الله تعالى وبما يوافق الشريعة، ومن المهام التي أوكلت للعالم في ذلك العهد الإصلاح بين المتخاصمين أشخاصا من العامة كانوا أو حتى من الولاة، الدعوة للتعاون والتكافل الاجتماعي، رد المظالم والمحافظة على حقوق الناس مثل توريث المرأة وعدم هضم حقها الشرعي كما هو معمول به في بعض المناطق، وللأسف مازال ليومنا هذا وهو من الجهل ومن العادات القبلية المتعارضة مع الدين الحنيف.

أيضا من المهام التي أسندت للعالم هي إطفاء فتيل الفتن الداخلية والخارجية واخمادها، مثل تدخل بعض العلماء بين "شعبان خوجة" والإنكشارية، تدخل "عبد الكريم الفكون" في حل عدة قضايا اجتماعية في قسنطينة، كما كانوا يشاركون في الوساطة والمفاوضات مع دول الجوار مثل المفاوضات مع تونس سنة 1037هـ، والمغرب سنة 1064هـ. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص445)

فعموما شمل تدخل العلماء في الجزائر خلال العهد العثماني الحياة الاجتماعية، العلمية والدينية، وبفعل الشروط التي وضعها الأتراك شارك العلماء بنسبة أقل في الحياة السياسية والأمنية للبلاد من خلال الدعوة إلى توحيد الصفوف والجهاد في سبيل الله لصد العدوان، وقد بينت السلطات العثمانية علاقتهم بالعلماء ورسمت الحدود على أنهم رجال حرب وسياسة، وأن العلماء هم رجال علم وقلم ولا ينبغي لهم التدخل في أمور الحرب وشؤون الحكم، لذلك لم يكن لهم دور في اختيار الحاكم واقتصر دورهم في حضور مراسيم التنصيب وتقديم البيعة والولاء.

واعتبر العلامة "محمد بن محمود العنابي"، الذي كان قاضيا وفتيها ودبلوماسيا ناجحا على مذهب الحنفية من أوائل سفراء الجزائر لدى البلدان الأخرى، حيث عينه الداوي "عمر باشا" سفيراً بالمغرب الأقصى. (أبو القاسم سعد الله، 1976، ص-ص 44-45)

ولما كان الجدل قائما بين العلماء المسلمين حول قضية أخذ بعض العلوم عن الدول الكافرة اجتهد "ابن العنابي" ليعالج هذه قضية، مستدلا ببعض الوقائع التاريخية من السيرة النبوية، حيث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر مجموعة من مشركين قريش، وتركهم بفدية على قدر أموالهم، وأمر من لا يملك الفدية مالا بأن يقوم بتعليم عشرة غلمان إلقاء حرثته، وهذا بحكم أن أهل مكة يتقنون الكتابة عكس أهل المدينة، كذلك روى أن الرسول صلى الله عليه

وسلم طلب من "زيد بن ثابت" تعلم اللغة السريانية لقراءة الرسائل الواردة منهم، فتعلمها في سبعة عشر (17) يوماً. (محمد بن محمود ابن العنابي، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، 1983، ص 195) وعلى هذا الأساس رأى "ابن العنابي" أنه من الضروري أن يتعلم المسلم ما يجهله من العلم النافع ولو أخذ هذا العلم من المجتمعات الكافرة التي تدين بغير الإسلام، خاصة وأن الأوروبيون كانوا يحضرون المكائد للجزائر عبر مشروعهم الاستعماري الخطير، فدعت ضرورة الحال إلى التقرب منهم وتقليدهم في صناعة الأسلحة والفنون القتالية.

ولعل أكثر ما ميز التواجد العثماني بالجزائر كذلك هي تلك الفتنة الكبيرة التي أحدثتها الثورة الدرقاوية³ سنة 1802م واستمرت إلى غاية 1816م، أدت إلى انقسام العلماء بين مؤيد للثورة والثوار ومعارض لها مؤيد بذلك السلطة، وكان الشيخ "أبو راس الناصري" من أشد الناقمين على الثوار معتبرا إياهم فئة باغية وظالمة داست على المقدسات، فوقف جنبا إلى جنب مع السلطة الحاكمة، وقد كتب مؤلف "دراً الشقاوة في حروب درقاوة". (مخفي مختار، 2017، ص 382)

وقد وقف مع السلطات العثمانية ضد "الدرقاوية" علماء آخرون على غرار "ابن فكون"، "محمد العنتري"، "ابن يوسف الزياتي"... وغيرهم، في حين أيد البعض هذه الثورة مثل "العربي المشرفي" الذي رآها انتفاضة ضد الاستبداد العثماني والتسلط على الشعب والعالم.

وأمام التهديدات الخارجية والغزو الإسباني الأوروبي للجزائر، انتقل العلماء من مرحلة النصح والإرشاد ونشر تعاليم الإسلام بين الناس إلى مرحلة الدعوة للجهاد واستنفار المسلمين، وتجنيد السكان وحثهم على حمل السلاح.

وقد التحق العديد من العلماء بالمعارك لصد العدو، بل وكان بعضهم في مقدمة الجيش، ليشاركوا إخوانهم في حمل السلاح والجهاد في سبيل الله. (المرجع نفسه، ص 383)

وبهذا ازداد بعض العلماء شرفا إلى شرفهم، فبعدما اقتصر أعمالهم في السلم على العبادة ونشر الدين الإسلامي وتعليم الناس، امتدت إلى الجهاد والرباط في سبيل الله ليظفروا بنيل الشهادة، ومن لم يصل هذه المرتبة كانت له فرصة نشر الإسلام بين الأسرى الصليبيين

3 الدرقاوية: نسبة إلى الطريقة الدرقاوية الصوفية التي كانت عاصمتها الونشريس وجنوب التيطري (من المدينة والبويرة إلى غاية الشلف وتسمسليت)، أقام شيخ الطريقة "مولاي الدرقاوي" بمدينة فاس المغربية، وكان مقربا من السلطان المغربي الذي احتضنه وأعطاه كل الدعم، ويمكن القول أنها بقدر ما كانت ثورة شعبية قبلية، كانت كذلك مشروعا سياسيا لسلطين المغرب الذين خدموا الاسبان من أجل التوغل والاستلاء على البلاد، وهذا بعد فشلهم في المواجهة العسكرية، فاتخذوا من معارضي الحكم العثماني في الجزائر والمتمردين عن الدولة وسيلة استعملوها من أجل الوصول إلى غاياتهم الدنيئة. (صحراوي عبد القادر، 2017، ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، مجلد 08، عدد 01، ص-ص 461-470).

وتعليمهم مبادئ الدين الحنيف، وقد أسلم على أيديهم الكثير من الذين كانوا على ملة الكفر والالحاد.

أسئلة حول موضوع موقف العلماء من بعض القضايا الاجتماعية

- 1-مرت منطقة الشرق الجزائري بثورة من أعنف الثورات في عهد العثمانيين هزت أركان الدولة وأطاحت بالسلطة في هذا الإقليم، أذكر أهم المحطات والأحداث التي تخللت هذه الثورة؟ وكيف كان دور العلماء والمشايخ في اخماد فتيلها؟
- 2-كيف استطاعت السلطة العثمانية المحافظة على أمن واستقرار الجزائر لحقبة زمنية طويلة؟

6. هجرة العلماء وآثارها المختلفة على الحياة الثقافية في الجزائر

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني العديد من الرحلات والهجرات للكثير من الرحالة المحليين أو من خارج البلاد على غرار المؤرخين، الشعراء، التجار أو العلماء... وغيرهم، هذه الفئة الأخيرة التي كانت تهدف من وراء الرحلة إلى طلب العلم أو نشره، أو بدافع ديني وأحيانا هربا من بطش الظالمين...، وفي هذا المقام نحاول استعراض الآثار التي ترتبت عن هجرة العلماء سواء عن هجرة العلماء من الجزائر إلى الخارج أو العكس وتأثيرها على الحياة الثقافية للبلاد.

1.6. هجرة العلماء من الجزائر

ارتبط مفهوم هجرة العلماء في تلك الحقبة بطلب أو نشر العلم الشرعي، وهذه دلالة على حرص العالم بالتفقه وتعليم الناس تعاليم الدين، عاملا بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقد حث القرآن على طلب العلم مصداقا لقوله تعالى (وقل رب زدني علما) طه 114، وعن "أبي الدرداء" قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة) أخرجه الترمذي (2982) وقال حديث حسن (أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، 2006، ص 429)

وتحمل هذه الهجرات أحيانا إلى جانب نشر الدين أو لقاء العلماء والأخذ عنهم أبعاد روحية، وهو طابع زيارة الأماكن المقدسة عند المسلمين كمكة، المدينة أو القدس، بالرغم من دراية العالم بالمخاطر التي تصادفه في طريق طويل وشاق. (شلابي نبيلة، 2021، ص 13)

والجدير بالذكر أن هجرة العلماء ترفع وتزيد من واجهة التواصل العلمي بينهم وبين بقية الشعوب، خاصة في المشرق باعتبار أن طريق العالم تطول أكثر مما يتيح له المرور بعدة حواضر بدء من مدن تونس إلى غاية حواضر العراق أو الحجاز، فإذا حل بمدينة أو قرية تعرف إلى علمائها وطلاب العلم فيها، لتزيد صلات الترابط بينهم، فيأخذ العلم عن علماء المنطقة ويأخذون عنه، وغالبا ما يلزم الباحث عن العلم شيخه في المجالس التي تعقد، سواء للاستفادة من رواية أو إجازة في واحدة من القراءات، أو حتى دراسة بعض الأحاديث أو الشروحات، وأحيانا يبحث العالم عن بعض مؤلفات لشيوخ شاعت سمعتهم وداع صيتهم بين الناس ليقوم بنقلها إلى الجزائر عند العودة إلى الديار، ومن أهم رحلات العلماء التي شهدتها الجزائر خلال العهد العثماني نذكر هجرة الشيخ "أحمد الونشريسي"، رحلات الشيخ "أحمد المقرئ"⁴، رحلات الشيخ "أبوراس الناصري"⁵، رحلات "ابن حمداش" وغيرهم من العلماء والفقهاء.

وقد ذكرت كتب التاريخ هجرة الكثير من العلماء نحو وجهات مختلفة خاصة المغرب على غرار "محمد بن مرزوق"، "أحمد الواعزاني" و"محمد بن عزوز الدليمي" اللذان توفيا ودفنا بمدينة فاس، كذلك "ابن الكماد القسنطيني" وغيرهم من العلماء والفقهاء الجزائريين، والجدير بالذكر التأكيد على أن هذه الهجرات لم تكن بدافع سياسي فقط، بل كانت غاية البعض طلب العلم خاصة وأن البعض يرى بأن الحياة بالمغرب أفضل وأرحب لوفرة المكتبات ومراكز التعليم وتقدير الأمراء لأهل العلم من جهة، ومن جهة أخرى كون أغلب المدن المغربية كانت مستقلة عن الدلة العثمانية.

كذلك كانت هناك هجرات قصرية نحو المغرب سببها فشل الحملة السعدية على تلمسان ضد الأتراك سنة 957هـ، حيث رافق السلطان السعدي إلى فاس مجموعة من العلماء وحتى رجال التصوف ممن أيدوا الثورة ضد العثمانيين، ونذكر منهم "أحمد العبادي"، "ابن الوقاد التلمساني"، "محمد بن شقرون الوجدجي"، "ابن جلال" ... وغيرهم، ثم حدثت هجرة

⁴ أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، ينحدر من أسرة علمية عريقة ولد سنة 1580/986م بمدينة تلمسان، وهو رجل علم وأدب أفنى وقته وقطع الفيافي وركب البحار وتحمل الصعاب، ترك الديار وفارق الأهل والخلان طلبا للعلم والمعرفة، فلم يترك حاضرة ولا بادية في المشرق والمغرب عرفت بالعلم إلا ارتحل إليها، عرف بسعة ثقافته وتعدد مواهبه، حيث قرأ وألف في علوم مختلفة كتفسير القرآن، الحديث، التاريخ، اللغو والأدب، النحو والصرف... إلخ، (عبد القادر سرير عبد الله، 2018، ص-ص 48-49). اتبع "أحمد المقرئ" في تصوفه الطريقة الشاذلية، توفي سنة 1632/1040م بأرض الكنانة مصر. (المرجع نفسه، ص 54).

⁵ محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر الجليلي المعروف بالناصر بن الناصري ولد سنة 1752م بضواحي معسكر وترعرع بها، حيث تلقى تعليمه الأولي ثم انتقل إلى المغرب الأقصى رفقة أخيه عبد القادر فحفظ القرآن وأخذ مع بعض المشايخ بعض العلوم، ثم رجع إلى معسكر وأخذ العلم عن شيخه عبد القادر المشرفي، لينصب مدرسا وبعدها مفتيا وقد رشحه المشرفي ليكون خليفته، كان أبوراس الناصري شديد الاعتداد بنفسه كان مجتهدا ومثابرا، عرف بتنقله وترحاله بين المشرق والمغرب. (الساسني حسناوي، 2023، ص-ص 109-110)

جماعية أخرى سنة 968هـ، على إثر حملة "خير الدين" ضد الأتراك بمدينة تلمسان. (كمال فيلالي، 2008، ص-ص 375-376)

والبعض اختار مصر وجهة أمثال "أبو الطيب الحسن بن يوسف الزياتي" الملقب بالشيخ الأزهري لتعلقه بالأزهر، "أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى التلمساني" الذي كان محدثا وأديبا ومؤرخا وأحد أشهر فقهاء المالكية. (محمد بومدين، 2020، ص 149)

أيضا هاجر الفقيه والعالم "أحمد بن عمار" إلى بلاد الحرمين فجاور البيت الحرام واستقر به، والحال نفسه بالنسبة للشيخ "محمد بن أحمد الشريف" الذي أصبح إماما للحرم، والقائمة طويلة إن حاولنا البحث والتقصي، وللذكر فإن بعض العلماء قد رجعوا إلى الوطن على خلاف البعض الآخر من الذين استقروا ببلاد المهجر حتى ماتوا ودفنوا هناك.

وبالنسبة للشيخ الفقيه "يحيى الشاوي الملياني" فقد توجه إلى المشرق بنية أداء فريضة الحج سنة 1663م، وعند عودته استقر بالقاهرة ليمارس التدريس بالأزهر، ثم رحل إلى الأناضول وقد كان مرغوب فيه من حكامها، لينتقل إلى دمشق فأقام مجلسا علميا بها، وبعد ذلك حل على مصر وبقي يتردد على إسطنبول، وفي سنة 1096هـ/ 1684م ركب البحر من مصر متجها إلى أداء الحج فتوفي على ظهر السفينة، ليقوم ابنه بنقل رفاتة ويدفن بالقاهرة. (بوشنافي محمد، 2009، ص105)

2.6. هجرة العلماء إلى الجزائر

تردد الكثير من العلماء والمشايخ على الجزائر قبل وأثناء التواجد العثماني بالجزائر على غرار علماء الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة 1492م آخر معاقل المسلمين بالأندلس، وكذلك علماء قدموا مع الأتراك باسم الوظيفة يعملون كقضاة ومفتيين وخطباء، واغتنم البعض الفرصة بحثا عن المال أو من أجل نشر بعض الطرق الصوفية أو الدعوة لمذهبه، ومنهم من رافق الباشوات الذين عينوا من إسطنبول لإدارة البلاد وتمثيل السلطان، مما يدل على أن الأغلبية لم يكونوا على قدر من العلم والنزاهة، ومنهم من تزوج وظل مع زوجته وأطفاله حتى بعد الانتهاء من الوظيفة.

ومن العلماء الذين وردوا على الجزائر القاضي "المولى علي" الذي كان يتمتع بسمعة دينية واسعة، الشيخ "مصطفى خوجة" الذي حل سنة 1168هـ وعين إماما "لمسجد خضر باشا" على مدار ثمانية عشر سنة وشارك في القتال ضد الأوربيين، وألف الكثير من الكتب باللغة التركية، أيضا "محمد بن علي الخروبي الطرابلسي" الذي وثق به العثمانيون إلى درجة توليه مهمات سياسية وعلمية حتى صار به الأمر فتولى السفارة في المغرب. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص-ص 433-435)

ومن العلماء المغاربة الذين دخلوا الجزائر هربا من الأوضاع السياسية نجد "أبا الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي"⁶ الذي حل بالجزائر واستقر بمدينة تلمسان يدرس وينشر العلم حتى استشهد بالطاعون سنة 1057هـ، وقد ترك خلفه مؤلفات متنوعة مثل "العقد الجامع للدرر اللوامع"، "مسالك الوصول في مدارك الأصول"، "فتح القيوم" وهو "شرح نظم الأجرومية" وغيرها. (مهدي دهيم، 2022، ص-ص 15-16)

أيضا من علماء المغرب الذين فروا من بطش السلاطين أو لأسباب سياسية "علي الزياتي" الذي تعرض للعزل والسجن، كذلك "أبو زيد عبد الرحمان الجامعي" الذي عاش متنقلا بين الجزائر، تلمسان وبونة، حيث التقى بعلماء الجزائر أمثال صاحب "الأرجوزة في فتح وهران" "محمد بن أحمد الحلقاوي"، وكذا الأديب الكاتب "محمد بن جابو التلمساني"، كذلك التقى مع حامل لواء المالكية "الشيخ مصطفى القلعي الرماصي"، وأيضا التقى "بأحمد بن عمار" الملقب "بأبو العباس". (سعيد دربال ويامنة بحيري، 2021، ص-ص 600-601)

وبالنسبة للعلماء المغاربة الذين دقوا أبواب الجزائر طلبا للعلم نجد العالم "أبو عبد الله بن زاكور الفاسي" الذي حل بالجزائر، فأجازه بعض أهل العلم من الجزائر أمثال "أبو حفص عمر المنجلاتي"، "أبو عبد الله محمد الحسني"، "أبو عبد الله محمد بن سعيد" المعروف بقدورة... وغيرهم، أيضا من العلماء المغاربة الذين دخلوا الجزائر من أجل طلب العلم نذكر "محمد بن عبد الله الورززي"، "محمد بن عبد الرحمان الصيني التازي"، "أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي"، "محمد السويسي"... وغيرهم. (المرجع نفسه، ص-ص 596-597)

وبخلاف هؤلاء العلماء المغاربة الذين طرقت أبواب الجزائر فكان تواجدهم بها خير وبركة، ساهموا في أداء مهام نبيلة، إلا أن البعض منهم قدم الجزائر من أجل المال والجاه، بل بعضهم لا يمكن تصنيفه في خانة العلماء على غرار "محمد الفاسي" الذي عرف بحبه للهو والطرب وكان يثني على الخمر في أشعاره.

فعموما يمكن القول بأن الجزائريين كانوا يهرعون إلى الاستماع والتلقي من العلماء الوافدين على البلاد، فكانوا يرحبون بهم ويشيدون بأعمالهم.

⁶ أبا الحسن الأنصاري السجلماسي عالم من علماء المغرب ولد بمدينة سلجماسة جنوب المغرب، تعلم على يد علمائها، ثم ارتحل للحج وحل بمصر سنة 1043هـ فأقام بها مدة وأخذ عن علمائها، عين مفتيا بالجبيل الأخضر بفاس وقام بالتدريس ونشر العلم هناك قبل الهجرة إلى الجزائر واستقر بها حتى وفاته سنة 1057هـ بسبب الطاعون، عرف بالعلم الغزير في التفسير والقراءات والفقهاء والحديث والأصول والطب والبيان والمنطق وغيرها، أهم شيوخه "أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفاسي"، "أبو محمد عفيف الدين عبد الله السجلماسي" و"المقري التلمساني"... وأشهر تلاميذه "عيسى بن محمد الثعالبي"، "أبو زكرياء يحيى بن محمد الملياني الشاوي" والقاضي "محمد بن علي الجزائري" المعروف "بالقوجيلي"، ولعل أبرز الأعمال التي قدمها الشيخ هي مساهمته في خدمة قراءة "الامام نافع" وتقديم شرحه "العقد الجامع للدرر اللوامع في مقر الامام نافع". (مهدي دهيم، 2022، ص-ص 15-16)

أسئلة حول موضوع هجرة العلماء من وإلى الجزائر

1- ماهي الأسباب التي دفعت بعلماء الجزائر إلى الهجرة نحو المغرب الأقصى وبلاد المشرق؟

2- حسب تصورك، ما هي النتائج التي ترتبت عن هجرة علماء الجزائر إلى الخارج؟

7. نماذج عن علماء العصر في الجزائر

خلال المحاضرات السابقة تطرقنا إلى العديد من علماء ومشايخ الجزائر الذين كان لهم دور كبير في نشر العلم بين الناس، بل ومنهم من حمل على عاتقه مهام أخرى كالجهاد ومحاربة الباطل وصد البدع وغيرها من التضحيات التي لاقوا من خلالها أذى كبير، لذلك ارتئينا أن يكون ختام هذا المقياس مرتبط بذكر بعض أعلام الجزائر، ولو أردنا الحديث عن كل أعلام تلك الحقبة لاستغرق ذلك منا وقتا كبيرا ومؤلفات ضخمة، ولعل أشهر هؤلاء المشايخ نذكر منهم:

1.7. الشيخ أحمد الونشريسي⁷

يعد "الشيخ أحمد الونشريسي" من أبرز فقهاء المالكية في المغرب، ولد بـجبال الونشريسي ونشأ بمدينة تلمسان وظل بها، كان غزير العلم فصيح اللسان، عرف بخصاله الحميدة والالتزام.

ولما بلغ الأربعين من العمر خرج من تلمسان مكرها واتجه نحو مدينة فاس، فحضي باستقبال كبير وحفاوة عالية، وقد أقبل عليه الشيوخ والطلاب من كل صوب وحذب، وكان الشيخ الونشريسي قائلا للحق عالما بالحلال والحرام، عارفا بعلوم التوحيد، الحديث، التفسير والمنطق بالإضافة إلى علوم التاريخ، الأصول، التوثيق وقول الأشعار. (لامية زكري، 2013، ص 63)

ولم تكن معاملة الأتراك هي السبب الوحيد في هجرة الشيخ، ذلك أن الحروب الداخلية للدولة الزيانية في آخر أيامها وعلاقتها بالإسبان في وهران، وضغط "بني وطاس" من الغرب

⁷ الإمام حافظ المذهب المالكي، حبر تلمسان وفاس، حجة المغاربة على الأقاليم أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني الأصل والمنشأ الفاسي الدار والمدفن، ولد حوالي سنة 834 هـ / 1430 م بقرية من قرى ونشريس بناحية الأزهرية، حفظ القرآن الكريم في كتاب قرينه، وتعلم مبادئ العربية على يد شيوخها كأبو الفضل قاسم العقباني وأبو عبد الله محمد بن العباس التلمساني، ولما لاحظ والده حبه للعلم واجتهاده في طلبه، انتقل به إلى مدينة تلمسان حيث كانت وقتها حاضرة العلم والثقافة، فأخذ عن علمائها وشيوخها، وفي سن الأربعين انتقل إلى مدينة فاس واستقر بها أربعين سنة حتى توفي بها ودفن هناك، وقد ترك وراءه مؤلفات جليلة وموسوعة علمية كبيرة. (لامية زكري، صص 61-62)

والعثمانيون من الشرق، قد ضيق على اجتهاد العلماء وعكر صوف جوهم، فاضطروا اضطرارا إلى المغادرة. (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص 424)

أي أن الأسباب التي دفعت بالشيخ "الونشريسي" مغادرة الديار والتوجه نحو فاس هو انتشار الاضطرابات والمشاكل السياسية، حيث شاعت اللصوصية والظلم وتهريب السلاح والمصادمات الجماعية والأوبئة والمجاعات، فأرغم الناس على مغادرة منازلهم وأوطانهم، فالحروب والغارات لم تسمح للفلاحين بالقيام بزراعة الأرض وتوفير الانتاج، فانعدام الأمن وتراخي قبضة السلطان جعلت الناس يفتقدون العدل في الحكم ويعتمدون على أنفسهم في نيل حقوقهم، وهكذا أصبح السهر على تنفيذ القانون من اختصاص العلماء والقضاة، فلم يقدروا على ذلك في مجتمع يسوده الفساد والاضطراب، وهكذا تعرض العلماء إلى مضايقات الحكام وظلمهم لصدعهم بكلمة الحق، فخرجوا فارين بدينهم وأهلهم كما فعل "الشيخ الونشريسي" متجها إلى مدينة فاس.

كذلك اشتهر العالم الفقيه "الونشريسي" بموسوعته الفقهية "المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقيا والأندلس والمغرب"، التي تعد أشهر المصادر الفقهية في المذهب المالكي، وبحسب طبعة 1981م فإنها تتكون من ستة آلاف وست مئة وخمس (6605) صفحة ضمن ثلاثة عشر (13) مجلدا. (بناني أحمد، 2010، ص-ص 22-25)

وقد ذم "الشيخ الونشريسي" بدع الصوفية وأفعالهم التي لم تكن في سلف الأمة سواء في الجزائر أو في المغرب الأقصى حتى وافته المنية عن عمر ناهز والثمانين سنة.

2.7. الشيخ سعيد قدورة⁸

"سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري"، محدث ومفتي المالكية وأديب، لقب بشيخ الإسلام، وأصل والديه من مدينة قدورة قرب جزيرة جربة التونسية، وقد هاجر إلى الجزائر وسكن بها، تلقى الشيخ علومه الأولى على يد "الشيخ محمد بن أبي القاسم المظماطي"، وبعد وفاة والديه سنة 1001هـ، توجه إلى زاوية "الشيخ أبي علي بن أبهلول المجاجي" قرب تنس، حيث مكث ثلاث سنين من 1005هـ حتى 1008هـ، عاد بعدها إلى الجزائر ليزاول دراسته عند شيخه "المظماطي" الذي كان قد عاد من الحجاز ليدرس بالجامع الكبير، سافر في طلب العلم سنة 1012هـ إلى تلمسان فتلمذ على يد "الشيخ سعيد المقرري"، ثم إلى صحراء فجيح وتافيلالت

⁸ كنيته أبا عثمان، من أصل تونسي إلا أنه جزائري المولد والنشأة، ولد سنة 973هـ/1571م، من أسرة محافظة وتمدنية شغل منصب مفتي مدينة الجزائر تلمذ على يد "الشيخ سعيد المقرري" التلمساني ومن طلابه "محمد بن إسماعيل" و"يحيى الشاوي"، وقد توارث أبناؤه العلم عنه حتى صاروا من كبار فقهاء الجزائر ومشايخها، على غرار "أحمد بن سعيد قدورة" و"علاء بن سعيد قدورة" اللذان قتلها الداوي "محمد بكداش" خنقا في السجن مباشرة بعد توليه الحكم سنة 1118هـ، بتهمة الاشتغال بالسياسة، توفي الشيخ سعيد قدورة سنة 1066هـ/1656م. (عاد نويهض، 1980، ص 259)

وسجل ماساة وواحة بني عباس، حيث قابل شيخه "أحمد بن عبد الله السجلماسي العباسي"، ثم منها إلى فاس حيث مكث بها سبع سنوات قبل عودته إلى الجزائر. (بيشي محمد عبد الحليم، 2022، ص-ص 115-120)

اشتغل "قدورة" اماما بعدة مساجد أولها مسجد البلاط، وآخرها الجامع الكبير الذي يعد أعلى مؤسسة دينية للمالكية بالعاصمة، حيث نصب به كإمام ومدرس، كما نصب على إدارة أوقاف الجامع الكبير واشتغل سنة 1028هـ مفتيا للمالكية، ثم أصبح على رأس المجلس العلمي، ومن ناحية أخرى اشتغل بالتجارة باعتبار كان صاحب مال وثروة.

كانت مساهمة "قدورة" في الدرس لا في التأليف وباللسان لا بالتعليم، ومن كان التعليم والتدريس وتربية الرجال مهمته الأساسية يكثر تلاميذه وتقل تأليفه، ومع ذلك فقد وجدت له بعض المؤلفات.

من تلاميذ الشيخ ابنه "محمد"، "عيسى الثعالبي"، "يحيى الشاوي"، وللعلامة "الشيخ سعيد قدورة" عدة مؤلفات، منها: "حاشية على شرح اللقاني لخطبة خليل"، "نوازل تلمسانية"، "رقم الأيادي على تصنيف المرادي في النحو"، "شرح على السلم المرونق في المنطق"، "شرح خطبة مختصر خليل في الفقه"، "شرح على جوهرة التوحيد للقاني في العقائد"... وغيرها. (مبدوعة كريمة، 2019، ص 19)

3.7. الشيخ أحمد المقرئ⁹

ولد بمدينة تلمسان أصل عائلته من مقرة بضواحي ولاية المسلية، انتقل إلى مدينة فاس المغربية سنة 1009هـ لطلب العلم، كانت رغبة الشيخ شديدة لزيارة مقدسات المسلمين في المشرق، فلما كان يتواجد بمدينة فاس استأذن ملك المغرب للسفر نحو مكة في رمضان من عام 1027هـ، ليصل في شهر ذي القعدة ليؤدي مناسك العمرة، ولبث بمكة حتى حل موسم الحج ليحج ثم رجع وقد مكث بمصر مدة قصيرة. (أحمد المقرئ، 1629، نشر في 2011، ص-ص 39-41)

وفي سنة 1037هـ رجع "المقرئ" إلى مصر واستقر فيها مدة من الزمن يدرس في الأزهر ويأخذ العلم عن بعض الفقهاء، واتجه من مصر إلى مكة مرات عدة.

⁹ أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، ينحدر من أسرة علمية عريقة ولد سنة 986/1580م بمدينة تلمسان، وهو رجل علم وأدب أفنى وقته وقطع الفيافي وركب البحار وتحمل الصعاب، ترك الديار وفارق الأهل والخلان طلبا للعلم والمعرفة، فلم يترك حاضرة ولا بادية في المشرق والمغرب عرفت بالعلم إلا ارتحل إليها، عرف بسعة ثقافته وتعدد مواهبه، حيث قرأ وألف في علوم مختلفة كتفسير القرآن، الحديث، التاريخ، اللغو والأدب، النحو والصرف...إلخ. (عبد القادر سرير عبد الله، 2018، ص-ص 48-49). اتبع "المقرئ" في تصوفه الطريقة الشاذلية التي كانت منتشرة في أفريقيا عموما والمغرب الأقصى بشكل خاص، توفي سنة 1040/1632م بأرض الكنانة مصر بعيدا عن وطنه. (المرجع نفسه، ص 54)

كذلك زار الشيخ بيت المقدس في رجب من سنة 1037هـ ومكث به خمس وعشرين يوماً، يلقي الدروس في الأقصى ومسجد الصخرة المنيفة، وكان قد زار مقام الخليل وأنبياء آخرين، ثم انتقل في شعبان إلى بلاد الشام الأرض المشرقة دمشق، أو كما وصفها بأنها دمشق ذات الحسن والبهاء والحياء والاحتشام. (المرجع نفسه، ص-ص 57-58)

وقد ذكر "الحفناوي" أن الشيخ "أحمد المقرئ" قد تنقل كثيراً بين بلدان المشرق، فقد حج خمس مرات، وزار المدينة المنورة سبع مرات، وبيت المقدس ثلاث مرات ودمشق مرتين، ولما قرر زيارتها للمرة الثالثة والاستقرار بها نهائياً توفي سنة 1041هـ/1632م، ويروى أنه مات مسموماً ببلاد الشام. (بوشناق محمد، 2009، ص-ص 104-105)

4.7. الشيخ عبد الكريم الفكون¹⁰

"عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن يحيى الفكون التميمي" من قبائل تميم العربية، تزامن يوم مولده مع وفاة جده "عبد الكريم"، كان والده خطيب الجامع الأعظم وقد كان فقيهاً صوفياً توفي بعد رجوعه من الحج في أواخر محرم عام 1045هـ قرب قرية المويلح بمصر، وأمه عربية شريفة النسب، بدأ رحلة طلب العلم بحفظ القرآن من قسنطينة. (بوخلوة حسين، 2016، ص 62)

وفي زمن انتشار التصوف في البلاد الإسلامية وتغلغل داخل المجتمعات وأخذت الظاهرة تأخذ أبعاداً متعددة لا تمد للدين بصلة، سار "الفكون" سير الكثيرين من مشايخ عصره فاتخذ من الزروقية طريقة له، عرف بالذكاء والفتنة وانتقاده الشديد لمشايخ عصره على وجه الخصوص، وكان يدعو للرجوع إلى تصوف السلف وترك البدع والضلالات. (عبد العزيز الهادي، 2022، ص 281)

¹⁰ كان أديبا ونحويا ومحدثا، جمع بين علمي الظاهر والباطن، ولد سنة 988هـ/1580م بقسنطينة، سمي على اسم جده الذي كان قاضيا وفقهيا، كان عالم المغرب الأوسط (الجزائر)، ولي إمارة ركب الجزائر في الحج، توفي بالطاعون سنة 1073هـ/1662م تاركا موسوعة علمية كبيرة شهد له بها علماء عصره، كما ترك ولده الإمام الفقيه "محمد بن عبد الكريم الفكون" فصار سير أبيه واشتغل كأمر لركب الجزائر في الحج فأحبته القلوب كما أحببت والده. (عادل نويهيض، مرجع سابق، ص-ص 254-255)

عاب "الشيخ الفكون" تدنى الأخلاق وانتشار الشعوذة وشيوع الرشوة بين الحكام والقضاة، فحمل على عاتقه مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الجهاد، وحث الناس على الرجوع إلى دين الله الحق.

أخذ "الشيخ الفكون" العلم على الكثير من المشايخ أمثال "التواتي"، "المرادي"، "ابن الحاجب"، وقرأ على "محمد الفاسي" بعض الفرائض، ودرس كذلك على يد "الشيخ أبو الربيع سلمان بن أحمد القشي".

وبعدما نال "الفكون" حظا من العلم والمعرفة على أيادي مشايخه، توجه لمكتبة العائلة الخاصة بهم ليزداد علما معجبا بنفسه إلى درجة تفوقه على بعض شيوخه في حل بعض المسائل، بل حتى خصومه يرجعون إلى رأيه أحيانا، وقام بالتدريس بالجامع الكبير بقسنطينة وبزاوية العائلة، بالإضافة إلى اجتهاده في التأليف، إذ لم يضاويه أحد من عصره في عدد المؤلفات إلا "الشيخ أحمد المقرئ"، وقد تنوعت مؤلفات "الشيخ الفكون" لتشمل الأدب والدين والنحو والاجتماع. (عبد الكريم الفكون، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، 1987، ص11)

ولعل أشهر مؤلفاته "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" الذي قيل ألفه بعدما تغلغت البدع والمنكرات في المجتمع وسادت سحائب الجهل فيه، "كتاب فتح الهادي في شرح المجرادي"، "شرح شواهد الشيف على الأجرومية"، "شرح على أرجوزة المكودي في التصريف"، "مخطوطة محدد السنان في نحو إخوان الدخان"، "نظم الدرر في شرح المختصر" (لعبد الرحمن الأخضرى) ... وغيرها من المؤلفات والشروح.

أما بالنسبة للتلاميذ والطلبة الذين أخذوا عن "عبد الكريم الفكون" بعضا من العلم والمعرفة فنذكر "أبي مهدي عيسى الثعالب" هذا الأخير تتلمذ على يد "قدورة" و"علي عبد الواحد الأنصاري السجلماسي" كذلك، أيضا من تلاميذ "الفكون" نجد "أبي سالم العياشي" و"يحي الشاوي" و"بركات بن باديس القسنطيني"، أيضا "أحمد الميلي" و"أحمد بن سيدي عمار" خطيب الجامع الأعظم بالجزائر.

5.7. الشيخ أبوراس الناصري¹¹

¹¹ محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر الجليلي المعروف بالناصرى ولد سنة 1165هـ / 1752م بضواحي معسكر وترعرع بها، حيث تلقى تعليمه الأولي ثم انتقل إلى المغرب الأقصى رفقة أخيه عبد القادر فحفظ القرآن وأخذ مع بعض المشايخ بعض العلوم، ثم رجع إلى معسكر وأخذ العلم عن شيخه عبد القادر المشرفي، لينصب مدرسا وبعدها مفتيا وقد رشحه المشرفي ليكون خليفته، كان أبوراس الناصري شديد الاعتداد بنفسه كان مجتهدا ومثابرا، عرف بتنقله وترحاله بين المشرق والمغرب. (الساسى حسناوي، مرجع سابق، صص109-110)

اشتهر أمر الشيخ بين الناس داخل الجزائر وخارجها، وبلغ من شهرته فاجتمع حوله أكثر من سبع مئة طالبا يأخذون منه العلم، مما جعل أمراء البلاد يخصصون لو كرسيا لتقديم الدروس لازدحام الناس عليه، ارتحل إلى البقاع المقدسة لتأدية الحج أول مرة سنة 1204هـ، والتقى بعلماء تونس ومصر والحجاز والشام، وعند عودته في سنة 1205هـ سمع بالحرب بين المسلمين والإسبان في وهران فسارع إلى الجهاد في سبيل الله. (الساسى حسناوي، 2023، ص110)

وقد تقلد مناصب في القضاء والافتاء ثم عزل منها، فانتقل إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى فاشتهر أمره هناك حتى لقب بالحافظ، فبعد سنوات قضاها بالمغرب وبالرغم من الحاح سلطان المغرب على الشيخ من أجل البقاء، إلا أنه رجع إلى الجزائر وقد عانى كثيرا بسبب حروب درقاوة والطاعون الذي حل بالجزائر، الأمر الذي دفع به إلى ترك التأليف مدة طويلة.

وفي سنة 1226هـ اشتاقت نفسه للحج مرة أخرى فارتحل وطال به المقام، فاجتمع مع علماء وفقهاء مكة كالعلامة "عبد المالك الحنفي الشامي" فأخذ عنه الحديث، و"عبد الغني" مفتي الشافعية، ومفتي المالكية "الحسين المغربي" فجالسه طويلا، والتقى بالشيخ "عبد الرحمان التادلي"، وقد كانت له مناظرات كثيرة مع العلماء في مكة والمدينة. (الحاج عيفه، 2016، ص 473)

وبعدها انتقل إلى الشام فاجتمع ببعض علمائها فتحدثوا إليه في مسائل كالحبس والدخان، فقدم لهم الأدلة فرجعوا إلى رأيه، وزار بعض مدن فلسطين كالقدس، الرملة وغزة وأقام مناظرات مع علمائها، فاعترفوا له بالفضل وسعة العلم. (المرجع نفسه، ص473)

سؤال حول موضوع نماذج عن علماء الجزائر

- إن الموضوع المرتبط بذكر والتعريف بأعلام الجزائر ابان العهد العثماني يدفعنا إلى البحث والقراءة حول هذه الفئة، بالاستعانة بما قدم خلال المحاضرة وكذا الاطلاع على بعض المصادر والمراجع المرتبطة بالموضوع، أذكر العالم الذي ترك فيك أثر مع الشرح؟ (الأسباب، طبيعة الأثر)

خاتمة

إن الفترة العثمانية بالنسبة لمعظم المدن العربية كانت مجرد مرحلة من تاريخها، إلا أن هذه الفترة كانت لها أهمية أكبر بالنسبة للجزائر، حيث حدث تحول كبير لتصبح الجزائر أكبر وأقوى مقاطعة عثمانية، قائمة على العلم ومتشعبة بالثقافة الدينية، وما كانت الجزائر أن تصل هذا الموصل إلا بفضل الله الذي سخر علماء وفقهاء دادوا عن الإسلام وبذلوا الجهد من أجل

اعلاء كلمة الله، وتعليم أفراد المجتمع حتى أصبحت الأمية شبه منعدمة، وما يلق بنا كمسلمين أحياء سوى أن نقرأ كتب هؤلاء العلماء الأفاضل ونترحم على من شهد له بالعلم والاستقامة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى علينا قراءة تاريخ بلادنا العريق، خاصة في تلك الحقبة التي تزامنت مع سقوط الأندلس في القرن الخامس عشر للميلاد إلى غاية انهيار الدولة العثمانية واستعمار الجزائر من طرف الفرنسيين عام 1830م.

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم

- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، 2006، جامع الترمذي، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- المراجع

ابن الأحمر، (1987)، أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2.

ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، (2004)، دار يعرب، ط1، دمشق.

ابن خلدون، حققه محمد مطيع الحافظ، (1996)، شفاء السائل وتهذيب المسائل، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا.

أبو العيد دودو، (1975)، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

أبو القاسم سعد الله، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1.

أبو القاسم سعد الله، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج2.

أبو القاسم سعد الله، (2005)، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، المجلد الثاني، الطبعة الثانية، ج4.

أبو القاسم سعد الله، 1976، المفتي الجزائري المصري العنابي وكتابه سعي المحمود في نظام الجنود، مجلة الأصالة، مجلة الاصاله، عدد 31.

أبو القاسم سعد الله، 1986، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية سلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت

أبو القاسم سعد الله، 2017، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر، الجزائر.

- أحمد المقرئ، 1629، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر للنشر، نشر في 2011.
- أحمد المقرئ، 2004، رحلة المقرئ إلى المشرق والمغرب، ت: محمد بن عمر، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- أحمد صديقي علي شقيرات، 2002، تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني 828-1341هـ/1425-1922م، دار الكندي للنشر والتوزيع.
- آمال معوشي، (2023)، قضية تعليم المرأة الجزائرية في فكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، المجلة التاريخية الجزائرية، مجلد 07، عدد 01.
- بشير ضيف بن أبي بكر، (2011)، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ج1، مراجعة عثمان بدري، مكتبة طريق العلم.
- بلخير عمراني، (2020)، علم المنطق في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة النوازل الفقهية والقانونية، مجلد 04، عدد 07، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر
- بلقاسم جغيب ولخميسي فريخ، 2021، التعايش بين المذهبين المالكي والحنفي في الجزائر العثمانية في مجال الإفتاء، المجلة التاريخية الجزائرية، مجلد 05، عدد 02.
- بناني أحمد، 2010، موسوعة المعيار للإمام أحمد بن يحيى الونشريسي، مجلة المعيار، مجلد 01، عدد 01.
- بوخلوة حسين، 2016، الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وإنتاجه الفكري (988هـ/1073-1580م/1663م)، مجلة الخلدونية، مجلد 09، عدد 01.
- بوشنافي محمد، 2009، هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وإلى بلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني (1520-1830م)، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 04، عدد 01.
- بوشيبية ذهبية، (2012)، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، مجلد 03، عدد 01.
- بوشيبية ذهبية، (2017)، العلوم العقلية والفنون في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة متون، العدد الرابع، جامعة الطاهر مولاي، سعيدة.
- بيشي محمد عبد الحليم، 2022، شيخ الإسلام وعالم العقلية سعيد قدورة الجزائري، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مجلد 07، عدد 01.
- توفيق مزارى عبد الصمد، (2012)، الطريقة عند الرحمانية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، عدد4، رقم 1.
- الحاج عيفه، 2016، مساهمات أبوراس الناصري المعسكري في الدراسات التاريخية، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 17، عدد 02.
- حميد آيت حبوش، 2017، واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني، دورية كان التاريخية، العدد37.

- خالد ضو، (2022)، مظاهر الحركة العلمي في الدولة الزيانية وآثارها، مجلة الذاكرة، مجلد 10، عدد 02.
- رزاق بكرة مرم، 2021، النشاط العلمي والثقافي للعلماء الجزائريين في مصر خلال القرنين 12-18 و17م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليابس)
- رزويو زينب، (2016)، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس.
- رشيدة شكري معمر، (2016)، المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518-1830، مجلة معارف، العدد 20.
- زروق جيجيك، (2001)، المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الفرنسيين، ماجستير تاريخ 2 حديث ومعاصر، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر.
- زهية دباب ووردة برويس، (2021)، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيو-تاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، مجلد 21، عدد 01، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
- زيزاح سعيدة، (2014)، الطريقة التجانية: النشأة والتطور، مجلة العلوم الاجتماعية، عدد 9، جامعة الأغواط.
- الساسبي حسناوي، 2023، الجهود الفقهية للحفاظ محمد أبي راس الناصر الجزائري (1238هـ) وأثرها في حفظ المرجعية الدينية في الجزائر، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلد 14، عدد 01.
- سالم بوتداره، (2016)، الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس.
- سعيد دربال ويامنة بحيري، 2021، تواصل علماء المغرب الأقصى بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الشهاب، مجلد 07، عدد 03.
- سفيان صغيري، (2021)، إسهامات العلامة أبو العباس أحمد المقرئ في النشاط التعليمي في المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م، مجلة الإحياء، عدد 21، رقم 02، جامعة حمة لخضر، الواد.
- الشريف كمال دحومان، (2013)، أشرف الجزائر دورهم الحضاري في المجتمع الجزائري، دار الخلدونية، الجزائر.
- شلابي نبيلة، 2021، الرحلات المغاربية إلى الجزائر في العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة 1.
- شهرزاد شلبي، 2019، المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني المؤسسات المالية نموذجا (1798م/1830م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة باتنة.
- صاحب سامي وسبقاقي مسعودة، (2019)، العلوم النقلية والعقلية بالأندلس - عهد بني الأحمر - أنموذجا، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 03، العدد 01.

- صالح بوشيش، المدارس الفقهية في الجزائر خلال الحكم العثماني، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الملتقى الوطني الأول حول المذهب المالكي في الجزائر، 21-22 أبريل 2004 .
- صبرينة لنوار، 2021، مساهمة الأوقاف في تمويل التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة مدارات تاريخية، مجلد 03، عدد 02.
- عادل نويهض، 1980، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2، بيروت، لبنان.
- عبد الجليل رحموني، 2020، العلاقة بين السلطة المركزية والباياليكات في الجزائر العثمانية (1520-1830م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس
- عبد الجليل ساقني، (2019)، الطريقة القادرية كمنهاج للتصوف في الجزائر، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، مجلد 13، عدد 01، المركز الجامعي تامنغست.
- عبد الحفيظ موسم، (2019)، التعايش المذهبي بين الحنفية والمالكية في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد 10، عدد 01.
- عبد الرحمان ابن الجوزي، تلبيس ابليس، حققه أحمد بن عثمان المزيد، (2001)، دار الوطن للنشر
- عبد الصمد حصاد وآخرون، (2022)، التعليم ومناهجه في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، عدد 15، رقم 02، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة.
- عبد العزيز الهادي، 2022، الخطاب الديني الإصلاحية في الجزائر خال العهد العثماني كتاب منشور الهداية لمؤلفه الشيخ عبد الكريم الفكون (988هـ/1073هـ- 1580م/1662م) نموذجاً، مجلة آفاق فكرية، مجلد 10، عدد 01، جامعة أحمد زبانة، غليزان.
- عبد العزيز قيبوج، (2019)، الحياة الثقافية والأدبية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، مجلة تنوير للدراسات الأدبية والإنسانية، مجلد 03، عدد 02.
- عبد القادر سرير عبد الله، 2018، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني-حياته- مؤلفاته- رحلاته، مجلة التواصلية، مجلد 04، عدد 04.
- عبد الكريم الفكون، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، 1987، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- عبو إبراهيم، (2018)، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس.
- عثمان منادي، 2022، العلماء والسلطة في الجزائر العثمانية ...دراسة تاريخية للتقارب والقطيع، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 08، العدد 01، جامعة الواد.

- فؤاد طوهارة، (2014)، المجتمع والاقتصاد في تلمسان خلال العصر الزياني، مجلة دراسات تاريخية، العدد 16.
- كريمة مبدوعة، (2019)، اسهامات سعيد بن قدورة الجزائري في الدرس اللغوي، مجلة الفضاء المغاربي، عدد 17، رقم 01، جامعة الجلالي بونعامة، خميس مليانة.
- كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية ولأوقاف، 2011.
- كمال فيلاي، 2008، هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 02، عدد 01.
- لامية زكري، 2013، من أعلام تلمسان: أبو العباس أحمد الونشريسي 914 834-هـ-1430 / 1508م: سيرة ومسيرة، مجلة عصور الجديدة، مجلد 03، عدد 10.
- ليلى خيراني، (2013)، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خال العهد العثماني 1818-1830 -دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- مبدوعة كريمة، 2019، اسهامات سعيد قدورة الجزائري الدرس اللغوي، مجلة الفضاء المغاربي، مجلد 17، عدد 01.
- مبروك مهيريس، (2009)، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- محمد التنسي، (2011)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان: مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه محمود آغا بو عياد، موفم للنشر، الجزائر.
- محمد أمين، 2003، يهود الجزائر في أواخر العهد العثماني عائلتا بكري وبوشناق نموذجا، العثمانيون والعالم المتوسطي -مقاربات جديدة، ط1
- محمد بن أحمد أبي راس الناصري، 2005، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تق وتح/ محمد غالم، منشورات كراسك، وهران.
- محمد بن محمود ابن العنابي، 1983، السعي المحمود في نظام الجنود، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، موك الجزائر.
- محمد بن يوسف الزياني، 2013، دليل الجيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم الشيخ مهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- محمد بوشنافي، (2015)، علماء المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ / 16-19م، مجلة عصور الجديدة، عدد 5، رقم 17.

- محمد بومدين، 2020، الرحلات العلمية التلمسانية الوافدة عل الأزهر الشريف ودورها في ربط أواصر الترابط الثقافي بين المشرق والمغرب ما بين 962هـ/1555م و1107هـ/1699م، مجلة التاريخ المتوسطي، مجلد 03، عدد 02.
- محمد بومدين، 2021، إضاءات على نماذج من نخائر ال كتب وخزائن المكتبات الخاصة بعلماء تلمسان خلال العهد العثماني، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مجلد 10، عدد 02، جامعة وهران2.
- محمد سي يوسف، (1990)، نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني: الحياة الفكرية في الولايات العربية، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، ج1.
- محمد صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني، (2022)، شرح منظومة في الفرائض والسنن، دار الكتب العلمية.
- محمد لعباسي، 2013، الإفتاء في الجزائر العثمانية 1512 / 1830م، رسالة مقدمة من أجل نيل رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران.
- مخفي مختار، 2017، دور علماء الجزائر اجتماعيا وسياسيا خلال العهد العثماني (1518-1830م)، مجلة متون، المجلد 10، العدد 01، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة.
- مهدي دهيم، 2022، أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد الأنصاري السجلماسي الجزائري (ت1057هـ) وكتابه: "العقد الجامع للدرر اللوامع في مقر الإمام نافع" (تعريف وتوصيف)، مجلة الشهاب، مجلد 08، عدد 02.
- مولاي بلحميسي، (1981)، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ناجي حسين جودة، (2006)، التصوف عند فلاسفة المغرب، دار الهادي للنشر والطباعة والتوزيع، ط1.
- ناصر الدين سعيديوني، (2010)، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، مجلس النشر العلمي، الرسالة 318، جامعة الكويت.
- نورالدين بولحية، (2016)، الاتجاهات الفكرية لجمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، ط2.
- ويليام شالر، (1982)، ترجمة إسماعيل العربي، مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ياسين بوفوس وآخرون، (2019)، ملخص أصول المذهب المالكي، مركز الامام مالك الالكتروني.
- يامنة بحيري، (2012)، نماذج من العائلة الأندلسية في مدينة الجزائر في الفترة العثمانية (القرنين 17-18م)، عدد 14، جامعة الجزائر.

يحيى بوعزيز، (1980)، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20، المؤتمر 21 للمستشرقين الألمان ببرلين في الفترة الممتدة من 24 فيفبر إلى 19 مارس 1980، نشر في مجلة الثقافة، عدد 63، 1981.

- MERCIER ERNEST, 1869, Etude sur la confrérie des Khouans de sidi Abd-El-Kader El-Djellani, à propos de ladite secte. L.Arnolet, Constantine.
- Metin Serifoglu, (2022), Dimensions and Backgrounds of the Ottoman Entry into Algeria at the Beginning of the 16th Century in the Light of Ottoman Documents and Sources Archival and Analytical Study, Journal of Oriental Studies, N° 41.
- Tarek Ladjal and Benaouda Bensaid, 2014, A Cultural Analysis of Ottoman Algeria (1516-1830): the north-south mediterranean Progress GAP, ICR Journal, vol 05, N°04, Malaysia, P569, <https://doi.org/10.52282/icr.v5i4.375>).

www.islamweb.net/ar/fatwa/8500/الطرق الصوفية المعاصرة

الملاحق

الخريطة الذهنية للسداسي الأول من مقياس تاريخ الجزائر

